حفل تكريم فى ملهى ليلى

حكايات

حفل تكريم فى ملهى ليلى

حكايات

زينب صادق



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة إبداع المرأة)
إشراف: عفاف السيد

حفل تكريم فى ملهى ليلى
(حكايات)
زينب صادق

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : **محمود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د.سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة تتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرحان

تقديم

نحن كتّاب مجلة صباح الخير الذين عاصرنا الفنان الرسام والكاتب الراحل حسن فؤاد كنا نطلق عليه «الأب الروحي». فقد كان يراقب أعمالنا ويرشدنا إلى الطريق العملي الذى يناسبنا. حتى فى السنوات التى لم يرأس فيها تحرير المجلة، والسنوات التى ابتعد فيها عنا، كان دائماً معنا. يراقب أعمالنا عن بُعد. يحمسنا. يؤنبنا. يهنئنا. يعاتبنا.

فى عام ١٩٧٣ وكان رئيساً لتحرير المجلة طلب منى أن أكتب عاموداً أسبوعياً، قلت له لابد أنه لاحظ ميلى الأدبى وتفضيلى كتابة القصة عن التحقيق الصحفى أو المقال. دار بيننا حوار طويل. كان لا يلقى علينا أوامر بأفكاره. كان يحمسنا لنتبنى فكرته بالحوار.. وسألنى: من أين أحصل على موضوعات قصصى؟! أجبته: من الحياة.. صمت قليلاً وقال ببساطة اكتبى الباب تحت عنوان: «أنا والحياة».. سألته: ماذا أكتب؟! أجابنى: كل ما أقابله فى الحياة. كُتب أقرأها. ناس أقابلها. أفكار جيدة. تأملات.. أى شىء.. وكل شىء.. بجانب القصص التى أفضل كتابتها. جعلنى أشعر بالحماس والمسئولية. وبعد أن قرأ ما كتبته. هنأنى. وطلب منى الاستمرار فى كتابة هذا الباب طوال عمرى.

وقد بدأت فى كتابة منذ عام ١٩٧٣. وتطور من عامود فى صفحة. إلى صفحة كاملة. إلى صحفتين.. إننى دائماً أتذكر. وأذكر الأستاذ العظيم حسن فؤاد الذى أرشد قلمى إلى الطريق الصحيح فى العمل الصحفى الذى كنت حائرة فيه. بين المقال والقصة والرواية والأحاديث فقد جمع لى كل ذلك تحت عنوان: «أنا والحياة».

وفى هذا الكتاب اخترت نماذج قليلة من كتاباتى فى هذا الباب أرجو أن تُفيد القارىء..

بلحب والعرفان بالجميل أهدى هذا الكتاب إلى روح الأب الروحى أستاذنا الفنان حسن فؤاد.

زينب صادق

حكاية رقم ١

ليلة صيف

في بهو كبير في قصر، كانت موسيقى الفالس تصدح بأنغامها الحالمة، والنساء يرتدين ملابس السهرة ذات الطابع الكلاسيكي.

الضيقة على الصدر، المحددة للخصر، الواسعة الطويلة تحت الخصر، والرجال يرتدون الملابس التي توحي بأنهم فرسان عظام في عصر رومانسي قديم، وكانت تقف وسط هذا الجمع بردائها الكلاسيكي تستمتع بموسيقى الفالس، وتقدم إليها من بين الرجال فارس ممشوق القوام دعاها للرقص، أمسك بيدها فشعرت بالدفء همس أنه افتقدها.. تذكرت انها قد قابلته من قبل، همس انه فرح برؤيتها في الحفل، ضمها برفق ودارت خطواتهما مع اللحن.. ترا.. لا... تت.. تت.. ترا.. لا.. تت.. تت.. انحنى قليلا وقبل وجنتها، من زمن بعيد لم تشعر بهذا الشعور العاطفي السخي.. انتشت باللقاء.. بالرقصة.. بالقبلة.. بلمسة اليد.. وكان حلماً جميلاً في ليلة صيف.. في ذلك الفندق الجديد المواجه للقصر العريق على شاطئ البحر.

حكاية رقم ٢

نميمة صيف

جلست الصديقتان تتهامسان بأسرارهما الأبدية المزعجة، على شاطئ خاص في منطقة العجمي، وقع نظرهما على امرأتين تتبادلان التحية في عناق مشتاق.

قالت أ: انظرى إلى هاتين المتعانقتين إنهما فلانة..وفلانة.

قالت ب: كانتا عدوتين..

قالت أ: ومازالت العداوة بينهما، فالمرأة لا تسماح منافستها على كسب رجل..

قالت ب: الغريب في الموضوع أن التي لم تتزوجه تظن ان التي تزوجته كسبت.. والتي تزوجته تظن أن التي لم تتزوجه هي التي كسبت!

قالت أ: ليس غريباً فكل منهما تظن ان الأخرى تتمرغ في بحر من السعادة، التي لم تتزوجه تظن ان التي تزوجته تنعم بالحب،والتي تزوجته تظن ان الأخرى التي تزوجت من رجل ثرى تنعم بثرائه، والحقيقة كما فهمتها من احاديثهما المنفردة معي أن التي تزوجت بالحب تشقى بأنانية حبيبها، واستعباده لها، والتي تزوجت بالثراء تشقى من تقتير زوجها!

التفتت المتعانقتان إلى المتهامستين، والتقت النساء الأربع بالإحضان لهذا اللقاء غير الموقع.

حكاية رقم ٣

صداقة صيف

قال الأخ الأكبر صاحب الشركة التجارية لأخيه الأصغر المهندس في شركة حكومية :

– لاتخلط يا أخى بين أنواع الصداقة فى حياتك .

قال الأصغر : أعرف أنه توجد صداقة .. أو .. لا توجد .

قال الأكبر : اخرج من سذاجتك الرومانسية . ففى مجال العمل الصداقات متنوعة ، وأغلبها تبع المصالح الخاصة ، فإذا كان اصدقاؤك فى العمل خذلوك هذا الصيف ، وكل منهم أخذ أسرته وذهب إلى مصيف مع مجموعة أخرى ، فكل منهم وجد مصلحته مع المجموعة التى ذهب معها .

قال الأصغر : أكثر واحد تأثرت من خيانته صديقى المقرب ، لقد كنا متفقين على أن نسافر معا إلى مرسى مطروح ، وفوجئت بإختفائه ، فوجئت انه سافر وأسرته مع أصدقاء جدد ، مع أننا لا ننعم بقربنا وصداقتنا إلا فى الصيف .

ضحك الأخ الأكبر وقال : إنها صداقة صيف لا أكثر ، فلا تضع تصرفاته تحت مسميات كبيرة مثل الخيانة ، وأنا سعيد أنك أخيراً قبلت دعوتى مع أسرتك فى بيتى الكبير هنا ، والساحل الشمالى قريب من مرسى مطروح ، وياريت كل عام تأتى عدة أيام ، فهذا هو الوقت الوحيد الذى أستطيع فيه أن أنعم بأخوتك ، ولتكن أخوة صيف .. وضحكا .

حكاية رقم ٤

كلمات الحبيب

كانت توجد شجرة في ميدان التحرير.. أمام الفندق.. أمام المتحف المصرى؟! لا تذكر بالتحديد.. كانا يقفان في ظل الشجرة ذات صيف بعيد.. كانت تضع في أذنيها حلقا أصفر كبيراً. وكان يؤلمها، لكنه موضة ذلك العصر! وكانت تدندن بأغنية.. سألها بأى شئ تدندن؟ قالت: أغنية جديدة لعبد الحليم. خلع الحلق من أذنيها، قال أن أذنيها جميلتان، لماذا تخفى جمالهما بحلق سخيف؟

استراحت بخلع الحلق. منذ ذلك اليوم وهى لا تضع حلقا في أذنيها. وتعودوا على أذنيها خالية من الحلقان.. من سنين.. وسنين.. أحيانا تسأل نفسها.. هل هى حقيقة لا تتحمل الحلقان في أذنيها.. أم أذنيها تحتفظان بكلمات إطراء من حبيب جميل قالها ذات صيف بعيد؟!

حكاية رقم ٥

جلسة حميمة

قالت أ : «دعوتك اليوم لأنك وحشتني. العمل كثير وليس لدى الوقت . .أأنب نفسى» .

قالت ب : «غدا عيد ميلادى» .

قالت أ :أعرف لذلك دعوتك . . افتقدت أحاديثنا الحميمة التى لا أستطيع أن أتحدث بها مع غيرك» .

قالت ب : «اتسعت دائرة صداقتك. كثيرات وكثيرون حولك» .

قالت أ :«ليست صداقات .تعرفين أن هذا بحكم المنصب . . وأنا أعرف . أحيانا كثيرة أغلق رنين التليفون فى المساء لاستريح وأعيش فى أرجاء العالم وأخباره ومباهجه مع الأقمار الصناعية والشاشة الصغيرة» .

قالت ب : «أشاهد أحيانا مذيعا فى محطة أخبار أجنبية يذكرنى بصديقنا ج. ربما يشبهه فى الشكل قليلا. لا أدرى لماذا يذكرنى به ؟ !

قالت أ : « ربما لأنه يعيش فى الخارج . . هل كان حبا حقيقياً . .» ؟ !

قالت ب :« كان . . .»

قالت أ :« كما كان صديقنا . . ص .حب حياتي » .

قالت ب :«خدعتنا أحلامنا . وكأنها كانت عكس قوانين الكون . تولد كبيرة ثم تصغر !»

قالت أ : «خدعتنا أحلام الحب لأنها ليست بأيدينا . . ولم تخدعنا أحلام العمل لأنها بأيدينا » .

قالت ب : «أتذكر مثل يوم الغد . . يوم عيد ميلادى منذ ثلاثين عاما . . دعانى ج . إلى مكان جميل احتفل بى احتفالا عظيما ، حتى أن كل الأغراب الذين كانوا فى المكان غنوا لى أغنية عيد الميلاد وتمنوا لى أجمل الأمنيات . . كانت الناس تتفاعل مع الحب سريعاً . كانت ليلة لا تنسى . .

ليلتها كتبت فى مذكراتى كلمات لا أنسى بدايتها . . كتبت شعرا ونثراً . وكدت أؤلف لحنا موسيقياً . . ليلتها شعرت بمشاعر هائلة . . ربما لذلك كتبت . . لو كان اليوم ينتهى عمرى ! . . ربما شعرت أننى لن أعيش مثل تلك الليلة ، ليلة أخرى فى عمرى . . خسارة . . مزقت تلك المذكرات كما مزقت صوره وألقيت بهداياه البسيطة » .

قالت أ : « وظل طول عمره يتحسر ويندم على هجره لك » . .

قالت ب : «كان حبنا رومانسياً جميلا » . .

قالت أ :« قابلته فى إحدى زياراته لبلدنا وأقسم أنك كنت حب حياته » .

قالت ب :« ومع كل ذلك الحب لم يستمر التواصل ، فكان طموح أحلامه على أرض بعيدة . . وكانت أحلامى ملتصقة بأرضى .

خمسة.. خمسة

نظرت إليها المرأة وعلى شفتيها شبه ابتسامة.. أولا حسبت أنها هي هذه المرأة، لكنها تنبهت إنها هي.. هي، والمرأة واحدة أخرى. كانت المرأة ترتدى تاييرا لونه أزرق فى لون التايير الذى ترتديه هى بتفصيلة مختلفة تصفيف شعر المرأة القصير مثل تصفيف شعرها القصير بطريقة كلاسيكية، وإن كانت الصبغة البنية المشتركة بينهما أكثر وضوحا فى شعر المرأة عن شعرها هى، ربما لأن الشيب لم يملأ شعرها كثيراً .النظارة الطبية التى تضعها المرأة على عينيها شديدة الشبه بنظارتها الطبية التى تضعها على عينيها. قامة المرأة فى طول قامتها تقريبا، لكن بدن المرأة ممتلئ عن بدنها، لقد قال لها الطبيب المختص بالأمور الأنثوية إن وزن المرأة يزداد قليلا فى هذا العمر، وهذا شئ طبيعى لكن عليها أن تأخذ حذرها فى طعامها حتى لا يزداد وزنها كثيراً.

إذا هى لم تأخذ حذرها فى طعامها سيمتلئ بدنها وتكون مثل هذه المرأة. إذا هى لم تعتن ببشرة وجهها ستظهر عليها التجاعيد واضحة مثل بشرة هذه المرأة. انزعجت من المرأة فكأنها تنظر فى مرآة مكبرة تكبر العمر عشر سنوات!!

طافت بالمحل الكبير مع الصديقة التى فى صحبتها . وكانت المرأة تطوف أيضا بين المعروضات ، وفجأة تلتقى نظراتهما . تبتسم المرأة كأنها ترى نفسها منذ عشر سنوات فتبتهج بالذكرى . . أما هى فتتقلص عضلات وجهها ، إنها ربما تكون مثل هذه المرأة بعد عشر سنوات فتنزعج من الفكرة .

بعد عمر الخمسين السنة تفرق . والشهر يفرق .

والعمر لا يحتمل الهزار . قالت صديقتها مبتسمة أنها كادت أن تحدث هذه المرأة على أنها هى . ولما لاحظت ضيقها . قالت معتذرة :«كأنى أراك بعد عشر سنوات» ! !

حاولت أن تشغل تفكيرها وانزعاجها عن هذه المرأة ، لكنها لم تمنع التقاء نظراتهما . كأنهما تبحثان عن بعضهما . انشغلت صديقتها بانتقاء ما تريد شراءه . أما هى فلم تستطع أن تنتقى شيئا .

عندما احتفلت هذا العام ببلوغها سن الخامسة والخمسين ، قال لها زوجها معجبا بدون تملق أنها كما لو كانت بلغت الخامسة والثلاثين . يومها عندما سألها الأصدقاء والصديقات عن عمرها الذى وصلت إليه . قالت ضاحكة وهى تفرد أصابع يديها فى وجوههم . . «خمسة . . خمسة» لم تكن يومها منزعجة بل كانت مبتهجة مطمئنة فما الذى يزعجها برؤية هذه المرأة ؟ !

لقد كانت تنظر إلى صور نجمات السينما العالمية اللاتى بلغن عمرها وتتفاءل فهن جميلات رشيقات وكانت تقرأ تصريحاتهن

الكاذبة عن سر جمالهن لتقلدهن، فهى لا تقل عنهن جمالا ورشاقة ولابد أن تحافظ على هذه النعمة التى أنعم الله عليها بها. وكانت تنتظر إلى صور الممثلات العالميات اللاتى بلغن الخامسة والستين ومازلن يحتفظن برشاقتهن وجمالهن وتطمئن نفسها أنها ستكون مثلهن بعدعشر سنوات، فلماذا تنزعج من هذه المرأة؟!.. ربما شعرت باطمئنان مع الخيال، وانزعجت فى مواجهة الحقيقة!!

نظرت إليها المرأة قبل أن تغادر المكان وعلى شفتيها شبه ابتسامة، أما هى فقد تمتمت شفتاها خمسة.. خمسة.

حكاية رقم ٧

ساعة بقرب الحبيب

يوم عيد ميلاده الخامس والسبعين جلس الرجل وحيدا مهموما، فأبناؤه الثلاثة تحدثوا معه فى الصباح خلال الآلآت الباردة وبكلمات أكثر برودة بتهانى عيد ميلاده، واعتذارات لانشغالهم بأعمالهم ووعودا باجتماعهم وأسرهم عنده يوم إجازتهم الأسبوعية للاحتفال به. وماذا بعد؟! هل سيظل هكذا وحيدا؟! لقد رحلت زوجته منذ عام، تعذب فى وحدته منذ عام، مهما كان الوقت الذى يمضيه فى مكتبه وعمله فهو يعود مهموما إلى بيته الصامت لا يستطيع أن يأكل بشهية الطعام الذى يعده له الطباخ، لا يستطيع أن يشكو لأبنائه الثلاثة وحدته أو إهمالهم له، فقد أحضروا له الطباخ والشغال الذى يعتنى بالبيت وكل متطلباته بعد عدة أشهر من رحيل زوجته استطاع أن يشكو حالة الوحدة الكئيبة التى يشعر بها لإحدى قريباته المقربة إليه، وكأنها كانت تنتظر شكوته هذه فاقترحت عليه مباشرة الزواج، وإنها تعرف عروسا ممتازة فى الخمسين من عمرها ولم يسبق لها الزواج، ولها وظيفة محترمة فى الحكومة، حقيقة هى ليست جميلة تماما، لكنها ليست قبيحة. قال لقريبته أنه سيفكر فى الأمر، ومرت الشهور ولم يرد عليها إلى أن كان يوم عيد ميلاده.

اتفق مع قريبته على مقابلة العروس .. ثلاث لقاءات مع العروس وحددا يوم الزواج. لم يهتم الرجل لماذا لم تتزوج من قبل، ولم يهتم انها ربما تخترع حكايات عن الذين طلبوها للزواج ورفضتهم لم يهتم إلا بشئ جعله مسرورا كما لو كان في عمره الثلاثين أو الأربعين انها بكر وأنه أول رجل..

وبدلا من أن يذهب إلى طبيب يرشده بعد فحص دقيق ماذا يفعل أو يصف له دواء يساعده يوم زواجه من عروسه العذراء، ذهب إلى صيدلي يعرفه فأعطاه الحبوب السحرية التي تجعل من الكهل شابا يستطيع بقوته أن يخترق الصخر!!

كان حفل زواجه مثل حفل تأبين رجل ميت كان الصمت يخيم على بيته بالرغم من وجود أبنائه الثلاثة وزوجاتهم، وقريبته صديقة العروس التي لم تجد ترحيباً فجلست صامتة، وجاء شقيق العروس متأخرا معتذرا عن حضور شقيقتيها، ولم يجد ترحيبا فجلس صامتا مستاء. لم تكن هناك بهجة في المكان سوى بهجة الرجل الأهبل الذي وافق على شروط العروس قبل أن توقع على عقد القران أمام ذهول أبنائه. وكانت الشروط أن تكون العصمة في يدها أن يكتب لها شقته التمليك وأثاث البيت. أن يعطيها مصروفا شهريا ولا يسألها عن مرتبها!!

لم يستطيع الأبناء الثلاثة إبداء اعتراضهم أمام فرحة الوالد، وتهامست زوجاتهم الثلاث باستيائهن من شروط هذه العانس!، وخيم الصمت على المكان.

ربما انزعج العريس من هذا الصمت، فأنب أبناءه الثلاثة أنهم لم يحضروا أحفاده مع أنه اشترى حلوى البوفيه من أشهر محلات الحلوى، وليبدد الصمت وضع فى جهاز التسجيل شريطا قديما لأغانى «فريد الأطرش» وإزداد استياء الأبناء وزوجاتهم من ترديد العريس مع المطرب..« ساعة بقرب الحبيب.. أحلى أمانى الحياة»

بعد ثلاثة أيام من زيجة الرجل العرجاء، كان الحاضرون فى نفس المكان صامتين مستائين تماما كما كانوا يوم زواجه، والشئ المختلف كان الشريط فى جهاز التسجيل لشيخ مشهور يتلو آيات من القرأن الكريم..

حكاية رقم ٨

زوجته

شـاهدنا الرجل الذى نعـرفـه يميل على المرأة التى لا نعـرفـهـا ويقبلها .

كانا مستلقيين على مقعدين طويلين من المقاعد الخاصة حول حمام السـبـاحـة فى الفندق ، يرتديان مـلابس السـبـاحـة مثل السائحين المنتشرين حول الحمام ، يستمتعون بشمس الخريف الهادئة يسبحون يستلقون على المقاعد الطويلة . ربما أطمأن الرجل أن كل الذين حوله من الأجانب فمال على المرأة وقبلها .

وكنا نجلس فى المقـهى الزجـاجى المطل على حـمـام السـبـاحـة ، نستمتع بمنظر المستمتعين أمامنا . كنا ثلاث زوجات وثلاث أزواج .
ودار الحديث بيننا .

● إنهـا ليست زوجتـه . التقينا فى حفل استقبـال منذ خمس سنوات ، سلم على وتحدثنا عن أيام دراستنا معا وقدم لى زوجتـه ، كانت نحيفة وشعرها طويل ، وهذه المرأة ممتلئة إلى حد ما وشعرها قصير .

● إنها ليست زوجته . منذ سبع سنوات كنت أستقبل المدعوات فى الحفل الخيرى الذى تقيمه جمعيتنا بالنيابة عن رئيسة الجمعية واستقبلت زوجته ، كانت تقريبا سمراء وشعرها طويل أسود

كالليل، وهذه المرأة بيضاء وشعرها القصير في لون البندق الجديد.

● ربما اختلط عليك الأمر ولم تكن زوجته.

● كانت زوجته وحدثتني بود شديد عندما أخبرتها أن زوجها كان زميلا في الدراسة لزوجي وأصدقائه المقربين وذكرت لها أسماءكم. أما هذه المرأة ليست زوجته.

● وسائل التجميل تطورت، ومعاهد التجميل تقدمت، ربما هي زوجته لكنها غيرت من شكلها ولون جلدها.

● انظروا هذا الشاب الذي انضم إليهما هو ابنه وأنا أعرفه فكيف يصحب ابنه مع امرأة غير زوجته؟!

● العلاقات الجديدة بين الآباء والأبناء أصبحت بسيطة.. سان فاصون.

● يعني إيه؟

● بدون تكليف يعني احتمال إنها حبيبته وليست زوجته.

● ربما يكون تزوج امرأة ثانية.

● لم نعرف انه طلق زوجته ليتزوج بأخرى، والزواج باثنتين محرم في ديانته، وخبر مثل هذا لا يخفى عن الصحف الباحثة عن أخبار وأسرار الرجال المهمين..

● ياجماعة لماذا تشكون أنها زوجته؟!

● لأنه قبلها على شفتيها هكذا أمام الناس!

حكاية رقم ٩

أحد ينتظرها فى البيت

كانت تعيش مع أمها . أم من هؤلاء الأمهات اللاتى يلتصقن ببيوتهن . من سنين كثيرة مضت رحل الآب وتزوج الأخ الوحيد ، بقيت مع أمها فى البيت كانت تذهب إلى كليتها الجامعية وتعود لتجد أمها تنتظرها ، تخرجت والتحقت بعمل ، تذهب إلى عملها وتعود لتجد أمها تنتظرها فى البيت تحضر لها ما تريد من مشتريات ، وما تحب من مأكولات ، عندما تسهر مع أصدقاء وصديقات فى مسرح أو سينما أو حفل وتعود متأخرة تجد أمها مستيقظة تنتظرها عندما تريد الاعتذار عن صحبة أو سهرة لا تجد أفضل من اعتذار أن أمها وحيدة تنتظرها فى البيت لقد عرفت حب الجنس الآخر فى أول عمر الشباب قصة أجهضتها ظروف معاكسة مادية ، وعرفت الحب فى أول عمر نضج الشباب قصة أجهضتها ظروف معاكسة اجتماعية ، لم تتأثر كثيرا لذلك الفشل ، فقد كانت أمها مواسية عظيمة ، والعيب ليس فيها بل فى الشابين المغفلين ، واقتنعت بفكرة الصداقة البريئة مع زملائها أفضل من الاندماج فى الحب ومعاناة فهم ماذا يدور فى رأس الرجل .

عندما رحلت الأم غامت الدنيا فى عينيها ، ليس فقط لفقد الحبيبة العطوفةَ المواسية ، لكن أيضاً لفقد من ينتظرها فى البيت !

نصحوها بالزواج لتجد رفيقا لحياتها ، لكن من مشاهداتها لصديقاتها وزميلاتها المتزوجات ومعرفة أحوالهن تعرف أن أزواجهن لا ينتظرونهن فى البيت ، بل يريدون منهن أن ينتظرونهم فى البيت ، مهما كانت مهام أو ظروف أعمالهن .

وسمعت كثيرا عن تحمل الزوجات لأمزجة الأزواج المتقلبة ، وتصرفاتهم المضايقة ، وصراخهم إذا لم يجدوا ملابسهم نظيفة أو طعامهم جاهزا فهل بعد أن قفزت إلى عمر ما فوق الأربعين تتحمل مثل هذه الأمور ؟ ! وبعد أن عاشت طوال عمرها فى هدوء لا تعرف التوتر المنزلى الذى يفسد حياة البشر ؟ ! من صديقة لها تربى قططا أخذت قطة صغيرة . فالقطة تحب أن تلتصق بالبيت تألفت مع القطة ، والقطة تآلفت معها ، تحابا عندما تنتهى من عملها تشترى للقطة ما تحبه من طعام وتعود مسرعة كما كانت تفعل فى حياة أمها لأن القطة تنتظرها فى البيت ، وعندما تسهر مع أصدقاء وصديقات وتعود متأخرة فى الليل تجد القطة مستيقظة تنتظرها ، وإذا أرادت أن تعتذر عن مشوار أو سهرة لا تجد أفضل من اعتذار ان القطة وحيدة تنتظرها فى البيت

حكاية رقم ١٠

الجالسة بجواره

كانت تجلس بجواره وهو يحكى لأخيه خلال الهاتف بسعادة وفرحة فى صوته عن زيارته للقرية السياحية التى قام بتصميم بيوتها.. وكم كانت فرحته وهو يشاهد نتيجة تعبه، وقد اثنى على عمله الأصدقاء الذين كانوا معه وزوجته «مارجريت» و.. صمت فجأة..و.. صدمت الجالسة بجواره، فهى زوجته وليس اسمها «مارجريت» بعد صمته لثوان كان خلالها يسأله أخوه عن الاسم الذى نطق به قال متلعثما فى محاولة إصلاح ذلة لسانه إن مجموعة أصدقائه الذين كانوا معه، أحدهم متزوج من انجليزية شعرها أصفر وملامحها الغربية ذكرته ب«مارجريت».. قال كلمات عبيطة كثيرة والتى كانت معه زوجته الحبيبة الجالسة بجواره صدمت زوجته الحبيبة من ذلة لسانه أو.. ذلة مشاعره، فهل مازالت زوجته السابقة معششة فى قلبه؟!

لم تسمع بقية حديثة مع أخيه فكانت فى حديث أخر مع نفسها كانا فرحين فى تلك الزيارة للقرية السياحية، كان مبتهجا وهو يشرح لأصدقائه ما قام به.. مبتهجا بإعجابهم لإنجازه ومراعاته فى تصميم بيوت مختلفة عن بيوت القرى الأخرى وكانت مبتهجة

لنجاحه، فهل لأنه شعر بسعادة للتقدير المادى والمعنوى، هل كان يتمنى أن تكون معه زوجته السابقة؟! لقد هجرته منذ عشرين عاما، وعادت لبلادها لأنه رجل فاشل.. لقد تحابا وتزوجا فى بلدها الأوربى أثناء تكملة دراسته الهندسية فى المنحة التى فاز بها، واعتقدت أنها ستعيش معه فى بلده عيشة منعمة، كما سمعت عن سحر الشرق والخدم والحشم وتدليل الرجل الشرقى لامرأته! فلا يتركها تخرج للعمل، ولا تتعب فى شئون البيت، ويغدق عليها النقود والهدايا..!! إنه لم يضللها بتلك الصورة الخرافية، بل أخبرها قبل أن تصحبه فى عودته لبلده أنهما سيعيشان فى بيت أسرته المتواضع إلى أن يستطيع أن يوفر لها سكنا مستقلا، فكان عليه أن يعود إلى التدريس فى كلية الهندسة ليس فقط لرد الدين الذى عليه لجامعته، لكن لأنه أيضاً يحب مهنة التدريس. لم تعجبها الحياة مع اسرته، ولم تعجبها مهنة التدريس، كانت تريده أن يستخدم علمه فى البناء بشكل عملى حتى يجلب من ورائه المال الكثير. فى ذلك الوقت لم تكن ظروف البناء وشركاته القليلة مرحبة بغير العاملين بها، وقد اشترك فى عدة مشاريع صغيرة لم تكن مربحة كما كانت تود زوجته.

فى شهرها الثالث من الحمل أجهضت، وقالت له إن إجهاضها بسبب سوء حالتها النفسية وسوء التغذية وسوء المعيشة، وفوق كل شئ زواجها من رجل فاشل.. أصرت على الطلاق وطارت إلى بلدها.

تساءلت الجالسة بجواره مع نفسها . هل لأنه حقق نجاحا كبيراً فأراد أن تشاهد هذا النجاح من اتهمته بالفشل ؟ ! .. هل تخيل انها هى التى كانت معه وفرحت به ؟ ! .. أم تمنى أن تكون هى التى معه فنطق باسمها ؟ ! .. تساءلت الجالسة بجواره مع نفسها هل لأن «مارجريت» هى التى هجرته فى وقت كان يحبها فظلت عالقة فى قلبه ؟ ! .. هل مازال يحبها ويشتاق لعودتها إليه ؟ ! .. خمس سنوات عاشها مع «مارجريت» ثلاث فى بلدها ، واثنان فى بلده .. بينما هو يعيش مع الجالسة بجواره منذ خمسة عشر عاما ! ! فهل بعد كل هذه السنين .. هى فقط جالسة بجواره و«مارجريت» هى الجالسة فى قلبه ؟ ! انتهت المكالمة مع أخيه نظر إليها نظرة ود واعتذار سألها عن رأيها فى المشروع الجديد الذى كان يتحدث عنه مع أخيه .. لم تسمع .. طلبت منه أن يحدثها عنه فيما بعد اعتذز لها عن ذلة لسانه .. «وإنها هى» .. قاطعته قالت :

«الإنسان لا ينسى ماضيه تماما ، وقصص الحب التى دخلها وخرج منها أو هربت منه لا ينساها تماما .. لا عليك .. فكل إنسان معرض لذلة اللسان ، ويمكن أن ينادى الجالس بجواره باسم غير اسمه .. اسم معشش فى رأسه من الماضى»

ابتسم معجبا بحكمتها وسماحتها ، لكنه تكدر قليلا .. ماذا لو نادته باسم رجل أخر ؟ ! !

حكاية رقم ١١

حيرة مشاعر

حسب نصائح الصحة البدنية فهى تسير فى طريق يبعد عن مكان عملها كل صباح، سواء استخدمت سيارة أجرة أو سيارة زوجها، يوصلها ويذهب لعمله، أثناء سيرها هذا الصباح تذكرت صديقها الذى هاجر إلى استراليا. غصة فى حلقها، فى قلبها. لماذا ترحل إلى آخر الدنيا؟! قال ضاحكاً حتى يجد مبررا لعدم حضوره فى إجازة حتى يقول لنفسه أنه ذهب ليبقى هناك! لقد مر صديقها بأزمة نفسية حادة بسبب حكاية طلاق من المرأة التى أحبها طول عمره وتزوجها بالرغم من معارضة أهله وبعد ربع قرن من الزواج تحب آخر وتعترف لزوجها عن حبها، وتصر على الطلاق! حاول أن ينصحها يهددها اصرت على قرارها فطلقها وقرر الهجرة.. مجنون هو؟!

التفتت الى مجموعة الملابس التى ترتديها. هذه البلوزة مع هذا الجاكيت. مع هذه الجونلة.. إنها نفس مجموعة الملابس التى كانت ترتيديها وهى ذاهبة مع رفيق حياتها ليقابلا صديقها آخر مرة أمام باب مسرح ذات مساء، منذ عدة سنوات.. ثلاث.. أربع؟! كان دائما يدعوهما إلى المسارح.. محبا للمسرح كان.. ويردان دعواته

فى مطاعم أو .. فى بيتهما مع زوجته التى كانت .. غصة فى حلقها فى قلبها .. كان الوقت مثل وقت اليوم فى آخر صيف، وكانت ترتدى مجموعة الملابس هذه التى ترتديها بين فصول السنة، منذ عدة سنوات ثلاث .. أربع .. تكدرت طول اليوم. هل تكدرت لذكرى صديقها الذى هاجر وترك فراغا فى حياتها ؟! أم .. تكدرت لأنها ترتدى مجموعة الملابس هذه منذ عدة أعوام؟! لقد مرت بأزمة نفسية منذ عدة أيام، وقالت إذا كان صديقها موجودا كان أخرجها من هذه الأزمة. كم من الأزمات النفسية وقف بجانبها وحل مشاكلها .. افتقدت وجوده .. تكدرت.

لم تشعر براحة طول الصباح وهى فى عملها، هل لأنها ترتدى هذا الطقم من الملابس منذ أكثر من أربع سنوات ؟! فكرت .. لابد أن تغير ملابسها المعلقة فى الدولاب. لم تغيرها من عدة سنوات، هل إذا غيرت دولابها، كما يقولون فى مسألة تجديد الملابس، هل ستشعر براحة؟!

هل سيعود لها مرحها ويذهب كدرها ؟! تساءلت لماذا أهملت دولابها؟! وأهملت ذاتها .. وأصبحت ضحية لشد الأعصاب ؟! .. تذكرت كلمات قرأتها .. الحياة تقبل على من يقبل عليها والذى ينسحب منها تنسحب منه !

تساءلت .. هل تكدرت حقيقة لذكرى صديقها .. أم «تكدرت من ملابسها» .. بحثت بين أوراقها إلى أن وجدت كلمات نقلتها من

كتاب أو مقال في مجلة عن «ذات المرأة» لابد من تقوية الذات حتى تستطيع المرأة التجاوب مع الأشياء والأحداث والتحكم في رد الفعل».. وقرأت «إننا نتعامل في حياتنا مع مجموعتين من الحقائق.. الخارجية وهي حقيقة ما نرى ونتعامل معه، والداخلية وهي التي تحتوى على الشعور والأفكار والخيالات والذكريات الذات هي التي تفرق بين ما هو حادث في الخارج وما يحدث في الداخل.. وقرأت: «ستنمو ذاتك عندما تنظرين إلى نفسك كجزء من عالم كبير.. لا تتنكرى لمشاعرك وابحثى في داخلك عن الأشياء الحيوية التي تهمك فيمكنك أن تتعاملى مع الحقائق الداخلية كما تتعاملين مع الحقائق الخارجية ويحدث التوازن في حياتك»..

وقرأت: تعاملي مع مشاعرك بصدق، واعرفي ما يبعث على سرورك حقيقة، ولا تستبدلي الشعور الحقيقي بالسرور بأشياء سطحية .. مثلا بشراء أشياء جديدة!!

وتنبهت أن ما يكدرها ليس تماما غياب الصديق الحنون.. وليس تماما الملابس في دولابها، إنه شئ في مشاعرها الداخلية.. لابد أن تكتشفه ولا تتنكر له.

حكاية رقم ١٢

حظ اليوم

تعجبت الأستاذة «أ» من دعوة زميلة دراسة إلى حفل شاى فى بيتها مع مجموعة من زميلات أخريات، ولما سألتها عن السبب أو المناسبة وهى لم تلتق بها من سنين؟! قالت صراحة أن زميلتهن «ع» التى عاشت سنين طويلة فى الخارج عادت أخيرا وطلبت منها لأنها كانت على اتصال دائم بها، أن تقابل مجموعة من زميلاتها فى الجامعة، وكان اسم«أ» ضمنهن.

لم تتردد الأستاذة«أ» فى الذهاب إلى الموعد بفكرة أهمية التجديد فى الحياة وأمل بدفء معنوى بلقاء، وشئ من المرح مع زميلات كن مثل صديقات فى زمن مرح أول عمر الشباب وحلم الحب والأحباب وطموح طريق العمل.

فى الصباح وهى تقرأ الجريدة من عادتها أن تلقى نظرة على حظها اليوم.. قرأت :«ستلتقى بشخص تشعر بالضيق بعد اللقاء».. فكرت لحظة.. إنها تقرأ حظها اليومى بفكرة التسلية وحب الاستطلاع وتنساه بقراءة الأخبار والموضوعات، لكنها اليوم توجست بشعور داخلى غير مريح.. ثم ابتسمت كعادتها عندما لا يعجبها حظها اليوم! ربما نسيته أو تناسته طوالالصباح وهى فى عملها.

قالت لزوجها قبل ذهابها إلى الحفل وقت الغروب أنها لاتدرى متى ستعود فلابد أنهن سيحكين كثيراً !!

أكتمل جمع الزميلات . . ثمان وصاحبة الحفل . . بالأحضان والقبلات النقين، وقالت العائدة من غربة السنين أنها تريد أن تسمع منهن ماذا فعلن فى السنين الطويلة الماضية، قالت واحدة ضاحكة : أن طلبها هذا سيضطرهن إلى المبيت عند صاحبة البيت . وقالت أخرى : من الأفضل ألا نفتح البالوعات فربما روائح كريهة تخرج منها وتخنقنا . واعترضت ثالثة على أحاديث حياتهن الماضية . . قالت المضيفة : إننا لم نتغير كثيرا فى شكلنا وعاداتنا بدليل زميلتها«س» جاءت ومعها مظاريف أوراق وحقيبة منتفخة كعادتها القديمة . .قالت«س» أن هذا الظرف به أوراق شراء مقبرة استلمتها من مكان ما قبل حضورها للحفل !

تحدثن عن الموت والذين رحلوا من المعارف والأصدقاء والصديقات . .وكيف رحلوا قررت المضيفة تغيير الموضوع فدعتهن لتناول الشاى والحلوى .

انشغلن قليلا ، فتحت إحداهن موضوعا قاتما آخر عن السرقات التى تحدث فى المجتمع الآن ، ولم تعد مقتصرة على الليل ، فجرأة اللصوص جعلتهم يسرقون الناس فى «عز الظهر» . . وأصبح القتل أو التهديد به ملازما للسرقة فى كثير من الأحيان . .

وتحدثن عن حكايات قاتمة من السرقات . قالت «ع» العائدة من الخارج أن السرقات فى كل بلاد العالم والمجتمعات وأن البلد الأوروبى الذى عاشت فيه سنين كانت تتبع كل التعليمات ضد اللصوص وأنها تركت بلدنا آمنا فلابد أن المجتمع تأثر بالتغيرات التى تحدث فى العالم.

تطرق الحديث إلى تغيرات الجو الذى حدث فى العالم وفى بلادنا التى كانت آمنة أيضاً مع الجو.. والتلوث الذى يضر الناس والإنسانية، وأنواع الأمراض التى ظهرت وانتشرت.. وزعقت غير المدخنات فى وجوه المدخنات لأنهن يلوثن جو المكان!

لم تشترك«أ» فى هذه الأحاديث القاتمة، لكنها شعرت بغم وخوف .تساءلت :لماذا أصبحن مرعبات هكذا فى أحاديثهن؟! هل عامل العمر.. أم المجتمع الذى لم يعد آمنا كما كان فى سنين زمالتهن وشبه صداقتهن؟! ماذا حدث لكل شئ ..قامت لتنصرف مع أول واحدة أستأذنت فى الانصراف.. كانت تود أن تجد شيئا من المرح فوجدت شيئا مرعبا!!

مخذولة باللقاء تذكرت حظها اليوم فى الجريدة.. هل بسبب صدقه بالصدفة.. أم.. السبب تغير الناس؟!

حكاية رقم ١٣

أُدِيلْ

توجهت إلى مقهى فندق كبير لأخفف من ضغط حرارة ورطوبة ذلك اليوم على بدني، فى تكييف هواء بارد وكوب ليمون.. بعد أن استعدت لياقتى قليلا نظرت الى الوجوه حولي، كانت نظرتها مركزة على بابتسامة من شفتيها. الوجه ليس غريبا علي، لكنى لا أعرفها. تشاغلت بالنظر فى مجلة معى. لم أشعر فقط بعينيها المركزتين على بل شعرت ببدنها أمامى بجوار منضدتى نطقت باسمى ولقبى. نظرت إليها مستفهمه وأنا اهز رأسى.. نعم. أنا قالت وهى تسحب المقعد لتجلس أمامى إنها لن تحيرنى همست.. «أنا عادل» توقفت الكلمات من الدهشة فى حلقى وجهه كما هو قمحي. ناعم.. وقد زجج حاجبيه، وأطال شعر رأسه الأسود فإنساب على كتفيه بنعومة. «البلوزة» القطيفة تلتصق ببدنه وتظهر صدر أنثى مكتملة النمو تذكرت أن أخى قد أخبرنى إنه قابل عادل فى نيويورك وتحول إلى إنثى، وكان تعليقى أن هذا أفضل له، لكن لم أتصور أن يتحول إلى هذا المظهر الأنثوى، حقيقة منذ معرفتى به، واحد من زملاء أخى المقربين فى العمل وأنا أجده فى طريقة حديثه ونعومة صوته أقرب إلى الإنوثة من الذكورة، وكان عندما يطلب أخى تليفونياً يحسب من يرد عليه إنه إنثى، حدثنى يوماً عن مشكلته، إنه

ليس رجلاً كاملاً بين الرجال ولا امرأة كاملة بين النساء وإن كان يميل أكثر إلى صفاته الأنثوية ، وفي مرحلة المراهقة عندما اشتكى لوالده حاله ، عرضه على طبيب متخصص فأخبرهما إنه يمكن إجراء عملية جراحية لتحويله إلى إنثى أو لتأكيد ذكورته ، طلب الأب تأكيد ذكورة ابنه ، لكن عادل صرخ إنه يميل إلى الأنوثة ، رفض الأب طلبه وحاول إدماجه في عالم الذكورة لكنه فشل .

سألته كيف فعلها ؟ قال عندما جاءته فرصة لعمل دراسة في مجال عمله في بلاد أقصى شمال الكرة الأرضية قرر أن يحدد نوع جنسه . عرض مشكلته على متخصصين هناك ، وأخبروه بعد الكشف الدقيق إنهم يمكنهم أن يحولوه إلى إنثى ، لكن أولاً لابد أن يضعوه تحت اختبار نفسي لمدة عام ليقتنع تماماً إنه يريد أن يكون إنثى . خلال ذلك العام كان يرتدي الملابس النسائية ويضع الماكياج على وجهه وأطلق شعر رأسه وتقبل معاكسات الرجال ، وقد وجد عملاً بجوار دراسته ليدفع مصاريف التحول ، فتن به زميل في العمل فأخبره بحقيقته وإنه في فترة اختبار نفسي وساعده نفسياً ومادياً . بعد اجتيازه للاختبار أجريت له العملية أو العمليات اللازمة ، لم يخبر أهله حتى لا تنقطع النقود التي كان يرسلها له والده ، ولما كانوا هناك ينادونه «آدل» فقد وجد سهولة في تحويل اسمه إلى «آديل» .

حدثت لي بلبلة وأنا أتحدث معها ، أحياناً أتحدث على أنه عادل وأحياناً على أنها أديل . . وماذا فعل أهله عندما عاد إليهم بعد سنين على هذه الصورة وكيف استقبله اصدقاؤه ؟ !

«أمي رقعت بالصوت وبكت على حظها التعس في ابنها الوحيد، ووالدى رقعنى علقة وتبرأ منى لما حاولت الدفاع عن نفسى من اتهامه لى بأنى شاذ، وقلت له إنه الذى لم يضع البذرة مضبوطة فجئت خنثى.. أعطانى بعض النقود وطردنى من البيت، أخواتى البنات تعاطفن معى، زوجات أصحابى خافوا من صداقتى لأزواجهن، يغرن منى! وأبعدوهم عنى، وأخوكى الندل عندما عرفت إنه فى نيويورك سافرت له من أقصى بلاد الشمال وعرضت عليه الزواج. ضحك هزأ بى وخاصمته، ألست أجمل من الكبة الأمريكية التى تزوجها على الأقل أنا بى أنوثة أكثر منها.. تعرفت هنا على رجل أرمل وكان سيتزوجنى لكن أولاد الحرام أخبروه عن أصلى، جاء لزيارتى فى البانسيون الذى عشت فيه بعدما طردنى والدى.. سبنى ووصفنى بلفظ قبيح فضربته، صاحبة البانسيون عرفت بالحكاية من صريخ الرجل وأنقذته من بين يدى وطردتنى. قالت إنها لا تؤجر لشواذ.. باختصار المجتمع هنا لم يتقبلنى، والرجال هنا معقدون، طلبت الرجل الذى أحبنى.. وأخبرته بقرارى السفر إليه وقبول الزواج منه، فرح بقرارى وأرسل لى تذكرة السفر، وسأسافر غداً، وأنا سعيدة جداً إنى قابلتك.

إستأذنت أديل فى الانصراف لتقوم ببعض المهام قبل سفرها، وتركتنى فى حيرة من أمرها، فالبرغم من نعومة وجهها وبدنها وصوتها وتكويرة صدرها إلا أن عظامها العريضة وبدنها الفارع الطول أقرب إلى الذكر منها إلى الأنثى!!

هلى حقيقة أنا قابلت أديل.. أم.. عادل؟!!!

حكاية رقم ١٤

حبها الوحيد..

في يوم سـفـرها ، أصـر جـارها الأرمل على أن يوصـلهـا إلى المطار بسيارته ، كان طوال الطريق يحدثها بكلمات مثل هواء ذلك الصباح النقي الذى لم يتلوث بعد . . نصـحـهـا الا تـتـدخـل فى حـيـاة ابنهـا ، ولاتلومه على زواجه ، ولتمض اجازتها الصيفية معه بحب وتفاهم وتمتع نفسها بعد عملها طوال العام ، ولتفكر جديا فى طلبه الزواج منها ، ربما فى ابتعادها تدرك حبه لها وأهمية أن تعيش حياتها لم تعطله وعدا بالتفكير ولا أملا فى الموافقة . كان كل ذهنها وعواطفها وافكارها مع حبها الوحيد ابنها وكل دقات قلبها مشتاقة لرؤيته بعد غياب ثلاث سنوات ، استطاعت خلالها أن تدخر ثمن تذكرة الطائرة ، وأموالا حولتها إلى العملة الصعبة وحقيبة كبيرة مليئة بالهدايا وأرسلت له برقية فى ألمانيا تخبره بزيارتها .

فى المدينة الصغيرة الجميلة بطبيعتها كان ابنها الوحيد مضطربا ، كيف سيتعامل مع والدته وهو فى هذه الشخصية الجديدة تماما عنها ؟ ! لقد كان فى الثالثة من عمره عندما شاهد والده يحمل حقيبة ملابسه ومخصصاته فى البيت وخرج بدون عودة لم يتذكر ماذا قالت له أمه وقتها منذ عشرين عاماً ، لكنه يتذكر أنه كان يذهب يوما فى الأسبوع مع خاله ليقابل والده ، وكان فى العاشرة من عمره

عندما شاهد والده يحمل حقيبة ملابسه فى المطار وسافر بدون عودة أصبحت أمه كل شئ فى حياته، هى التى ترعى البيت وترعاه وتعمل وتكسب صاحبة الأمر والنهى، المسيطرة على كل شئ. هى التى أختارت له المدارس ونوع تعليمه والدولة التى سافر إليها لينال الشهادات العليا باللغة التى اختارتها له وتعلمها ليعود استاذا دكتورا شاهد عالما جديدا وخالط شبابا فى مثل عمره يعيشون وحدهم، وينفقون على أنفسهم، ولا تتدخل أمهاتهم فى أختيار أى شئ لحياتهم، أعجب بهم. وأحب فتاة ألمانية وتزوجها عندما أرسل لأمه الخبر السعيد فى العام الماضى. ردت عليه بخطاب تؤنبه كيف لم يأخذ رأيها؟ ومن أين يصرف على زوجته وهى بالكاد ترسل له مصروفه؟! تعجب من خطابها الذى وصل إلى بلاد الحرية بمثل هذا الكلام.. فبحث عن عمل بجانب دراسته وأرسل لأمه يعفيها من مصروفه . ثلاث سنوات وهو يستمتع بمذاق الحرية والاختيار فكيف سيتعامل مع أمه؟!

بالأحضان والأشواق استقبلها، لكنه لم يعد يحتمل أى كلمة أمرة منها. أو حتى أى تعليق ،وبالرغم من الحب والتفاهم بينه وبين زوجته ،إلا أنه فى وجود أمه عاملها بصرامة ليبرهن لأمه أنه صاحب الرأى الأول والأخير. تعجبت من هذا التحول الحاد فى حياة ابنها، حتى عندما سألته ماذا سيصنع لمستقبله وقد تزوج ألمانية. رد عليها بحزم إنه الوحيد المسئول عن مستقبله واختياراته ،إذا كان سيعود لبلده أم سيبقى فى ألمانيا، فليس لأمه أى دخل بحياته

ومستقبله.. بدموعها المحبوسة حجزت تذكرة العودة إلى مصر بعد أسبوع واحد من الحياة مع ابنها. كيف يعاملها هكذا؟! ولماذا؟!

وهى كرست حياتها من أجله ،لم تتزوج وهى فى عز شبابها من أجله، حتى عندما سافر لم تفكر فى طلب الزواج الذى طلبه منها جارها الأرمل، لم تصرف أى نقود من دخلها لتنعم على نفسها بفسحة ، فكل نقودها له. سارت وحدها فى حديقة، فكرت لأول مرة فى حياتها كانت تعتبر ابنها الوحيد، حبها الوحيد، وأخمدت أى خفقة من قلبها لرجل آخر، وأخيرا يركلها هكذا؟! انه لم يركلها تماما، لكنه يمكن أن يفعل ، وقبل أن يفعل لابد أن تنقذ نفسها.

ذهبت إلى تليفون، طلبت جارها الأرمل فى القاهرة. قالت له أنها اكتفت باسبوع من أجازتها مع ابنها، وتود أن تقضى الثلاثة أسابيع الباقية معه هو، ليحجز لهما فى مدينة ساحلية، وليخبر ابنه وابنته أنها ستكون لهما أما ولاطفالهما جدة، وأخبرته عن موعد وصول طائرتها بعد يومين. فرح الرجل واخبرها ان اسرته كلها ستكون فى استقبالها، وابنه وابنته يحبانها ويقدران كفاحها ويلحان عليه بالزواج منها، لكنه تعجب من طريقتها الفريدة فى الموافقة على الزواج.. وتنهدت براحة . لم تندم على رحلتها القصيرة المكلفة ، فكان لابد أن تدفع كل هذه المصاريف لتواجه الحقيقة. ولتبدأ حياة جديدة.

حكاية رقم ١٥

«فات المعاد»

لم يذهب إلى بيت عمه منذ أكثر من ثلاثين عاما، لقد قرر ألا تطأ قدمه هذا البيت، والا يذهب إلى الحى الذى يقع فيه، وأن يقطع صلته تماما بسكانه، والقاهرة مدينة كبيرة ساعدته على تنفيذ قراره، لكنه ذهب أخيراً تحت إلحاح إخواته لتقديم واجب العزاء فى وفاة عمه. وهو فى طريقه إلى ذلك الحى القديم جاءته الذكرى لقراره البعيد خفيفة وسطحية مثل سحابة صيف مرت سريعا فوق رأسه لم تكن قوية واليمة كما كانت فى ذلك الزمن إلا عندما جاء وجها لوجه مع ابنة عمه الحبيبة الغالية. عرفها من ملامح وجهها. فقد إمتلأ بدنها وكأنها دكته فى جلباب أسود طويل كما يدكون القطن بعد جمعه فى جوال كبير.

وبسرعة جاءه التفكير المبرر إلى رأسه: «إحمد الله أنك لم ترتبط بهذه البقرة». لكنها عندما رحبت به وتحدثت معه وجدها هى.. هى ابنة عمه الحبيبة الغالية. لقد تغير شكلها الخارجى أما داخلها فهى، هى لم تتغير بطريقة ترحيبها به، بصوتها الهادئ. وحديثها الودود. اهتزت به الذكرى. لو كانت تزوجته ما كان مظهرها أصبح هكذا، كانت بحبها له ستعتنى بنفسها لترضيه. لو كانت تزوجته كان طريق حياتها مختلفا تماما عن طريق حياتها الذى اختاره لها أبوها. عمه. ذلك الطاغية القديم.. عندما جلس فى

حجرة الصالون خيل إليه أن عمه الذى مات جالسا فى نفس الركن على نفس المقعد فى عمره الخمسينى، إنه لم يقابله ولم يره طوال ثلاثين عاما فكان يتجنب الذهاب إلى أى مناسبة عائلية حتى لا يراه.

كان فى الخامسة عشرة من عمره عندما توفى والده ولم يكن يحب الدراسة فى المدارس وإن كان يحب القراءات المتنوعة، لم تتحمل أسرته مصاريفه وفشله فى الدراسة فأخذه شقيقه الكبير إلى صديق له ميكانيكى لديه ورشة لإصلاح السيَارات، وكانت مفاجأة لأهله أن الصبى أحب العمل بيديه. وتنبأ له صاحب الورشة بمستقبل عظيم فى هذه المهنة. وبسرعة نال ثقته، فى ذلك الوقت كان حبه لأبنة عمه ينمو فى قلبه وحبها له ينمو فى قلبها. وعندما زاد راتبه وهو فى العشرين من عمره اتفق مع حبيبة قلبه على الزواج، وكان عليه أن يطلبها من أبيها، ارتدى حلة جديدة فى ذلك اليوم وحمل معه صناديق من الحلوى وذهب بثقة إلى بيت عمه. استقبلته حبيبته بفرحة الحب والأمل الذى سيتحقق، وأشارت إلى حجرة الصالون حيث كان يجلس والدها فى مقعدة المفضل يشرب قهوة العصر ويستمع إلى أغانى أم كلثوم من محطة الإذاعة التى سميت بأسمها، كان عمه جالسا فى نفس هذا المقعد منسجما مع أغنية «فات المعاد» لأم كلثوم» فى يوم حار مثل هذا اليوم، لم يتغير شئ فى الحجرة سوى لون طلائها ولون قماش مقاعدها وهذه المروحة الكبيرة.

عندما طلب من عمه الزواج من ابنته حبيبة قلبه، قال له مباشرة انه لا يزوج ابنته لصبى ميكانيكى ليس له مستقبل. أحياناً الصدمة

تنزل على الفرد فتشل حركته ولسانه فيصمت ، أو تحركه كمن لسعته نحلة فيدافع عن نفسه ، وهكذا فعل . . لكن عمه سخر من أحلامه لمستقبل باهر فى مهنته وإن كانت ابنته هذه لم تكمل تعليمها في المدارس مثله إلا إنه لن يعطيها له وقد اختار لها من يسعدها ، قام منتفضا ولم ينظر إلى حبيبته التى كانت منتظرة بهلع بجوار باب الحجرة ، وجرى إلى الباب وصوت أم كلثوم يلاحقه«فات المعاد» لقد أصبح يتشاءم من هذه الأغنية منذ ذلك اليوم البعيد . قام من مجلسه لم يحتمل الذكرى وخرج من الحجرة ، وجد ابنة عمه بجوار الباب تماما كما كانت واقفة فى ذلك اليوم المشئوم . وقف أمامها صامتا . نادت على شاب فاقترب منهما . نظر إليه بدهشة وهى تقدمه له . ابنها الكبير . كأنه يشاهد نفسه منذ ثلاثين عاما . ليس غريبا أن يشبهه ، أليست أمه ابنة عمه ! !

كان يمكن أنْ يكون ابنه . قال له الشاب بمرح لا يتناسب مع مناسبة العزاء ، أنه يود أن يزوره فى ورشته الكبيرة التى يمتلكها وسمع عنها من خاله ، وانه يدرس الميكانيكا ، وإذا لم يجد عملا بعد التخرج من كلية الهندسة سيلتحق بالعمل عنده . ربت عليه بحنان ورحب به . . وانصرف . فى سيارته تعجب ان ابنة عمه تتبعت أخباره طوال السنين ، وعلمت بأمتلاكه ورشة لإصلاح السيارات وأنه يسكن فى حى راق ولديه ابنتان . أما هو . فقد كان يغلق أذنيه عند سماعه أى أخبار عن أسرة عمه . هز رأسه ، إنه لم يعد يحقد على أحد ، ومازالت بقايا الحب فى قلبه لابنة عمه . لم يدر ماذا كانت مشاعره تماما بعد هذه الزيارة ، فمشاعرنا ساذجة وأبدية كالماء يشفى غلة عطشنا دون أن نلحظ له طعما .

حكاية رقم ١٦

بيت جدتى..

عدت بعد خمس سنوات من السفر لأجد كل شئ كما هو فى بيت جدتى، وهى مازالت تجلس فوق مقعدها الوثير العريق بجوار مدفأة الحائط فى بهو البيت، فى هذا المكان الذى يتوسط الحجرات حيث يوجد باب الشقة ، هذه جلستها المفضلة من زمن بعيد، لتراقب الداخلين والخارجين لكنها الآن لا تستطيع أن تفتح الباب للطارق، أو.. أن تسير وحدها، ولم تعد تستخدم عصاها أو.. هى لاتريد لتشعر إنها ليست وحدها فتنادى على أحد تستند عليه. صغر حجم جدتى حتى أصبح جسدها مثل الكرة.

لم يعد فى بيت جدتى سوى أبى وعمتى.. الستة الأخرون من أبنائها وبناتها فى بيوتهم، ولم يعد فى البيت خدم مثل الزمن القديم، فقط امرأة تاتى يومين فى الأسبوع. كل شئ كما هو فى البيت العتيق، نظام الاثاث، الصور القديمة على الجدران، حتى إبريق الشاى وكنكة القهوة وعلبة السكر فى موضعها الذى لم يتغير منذ طفولتى. يخيل إلى أن جدتى أصبحت مثل سلحفاة عمرها مائتا عام منكمشة فى بيتها وتنظر إلى العالم بعينين كسولتين ماكرتين، والويل لأبنائها وبناتها إذا تركوها وحدها يوما بدون أن يحضر أحدهم أو إحداهن لابد أن يكون أحدهم أو إحداهن معها فى البيت، لكن العبء الأكبر يقع على أبى وعمتى اللذين يعيشان معها.

لقد بدأت جدتى تنسحب من الحياة قبل سفرى للخارج، لم تعد تزور بيوت أبنائها وبناتها، ولا الجيران، واكتفت بمقعدها الوثير العتيق وأمامها التليفزيون مفتوح طوال اليوم، تنام مثل القطة معظم ساعات النهار وتستيقظ معظم ساعات الليل، وتنادى على أبى أو عمتى لتسليتها غير عابئة بحاجتهما للراحة والنوم.

عمتى كما هى جميلة، لكن جمالها أصبح ذابلا، لم أجرؤ على سؤالها عن حبيبها، لابد أنه ذهب، فلماذا هى حزينة؟ لم تعد سعيدة مثلما كانت قبل سفرى، فيبدو أنها تعيش مشكلة.. فى فترة من حياتى كرهت جدتى عندما سمعت أنها كانت سببا فى انفصال أبى عن أمى، لكن ذهبت الكراهية وذهبت أمى لرجل أخر تزوجته، أبى لم يتزوج، لكنه لم يعد الرجل المرح الذى كان يملأ بيت جدتى صخباً وضحكا، ويبدو أنه أيضا يعيش مشكلة.

اتذكر جدتى عندما كانت بصحتها وقوتها تصنع لنا الطعام والحلوى وتدللنى فأشعر بحب جارف نحوها، لكنى لا أستطيع منع كراهيتى نحوها عندما أشاهد تعب أبى وإرهاق عمتى. من وقت لأخر تقوم جدتى من فوق مقعدها، ترتكز على عصاها وتقف لتنظر إلى وجهها فى مرأة الحائط فوق المدفأة، وتهز رأسها ثم تجلس، وتصب لعناتها على من يصادفه حظه العسر ويمر من أمامها أو يكون جالسا معها لم يعد يعجبها شئ أو احد، وفى لحظات صفوها النادرة تحكى عن أيام شبابها والعز الذى كانت تعيش فيه. جئت

لأمضى شهرا فى بلدى، مشتاقة لبيت جدتى الذى قضيت فيه طفولتى وصباى، لم يمضى يومان حتى أصابنى الضجر.

المكان هو المكان لكن الذين يعيشون فيه تغيروا، اقترحت على أبى أن نصحب جدتى إلى الإسكندرية فأجابنى بأسى إنه لم يستطع إقناعها طوال السنين الماضية بفكرة المصيف والتغيير. فى البلد الذى أعيش فيه رجال ونساء فى عمر أكبر من جدتى يستمتعون بحياتهم ويسافرون، حكيت لجدتى عنهم، فأستمعت بأهتمام، وقامت أمسكت عصاها وسارت عدة خطوات، وأعلنت أنها يمكن أن تسافر من أجل خاطرى، فرح أبى وتنهدت عمتى بإرتياح، وقبل سفرنا بيوم قامت جدتى فى الصباح باكية، حلم مرعب حذرها من السفر، ماذا يا جدتى؟ حلمت أنها غرقت فى البحر!.. قررت أن أبقى مع أبى وعمتى، أتحمل معهما حر القاهرة وسيطرة جدتى. وأعد الأيام لينتهى شهر الأجازة وأعود لدراستى وعملى مهما كانت صعبة غربتى.

حكاية رقم ١٧

الأشارة خطأ

فى بهو فندق جلست تنتظر زوجها الموجود فى المؤتمر المنعقد، كان بهو الفندق مزدحما، مقعد خال خلف المنضدة التى تجلس خلفها، وقف خلفه شاب فى زى عسكرى. بحرى ، لم تفهم تماما هويته، سألها إذا سمحت له بالجلوس، أومأت برأسها وجلس منهكا، وضع بجانبه على الأرض حقيبة سفر . كانت تمسك بجريدة، والألم يبدو على وجهها وهى تقرأ عن حادثة مروعة فى البحر الأحمر عن غرق سفينة محترقة بركابها، قال الشاب انها حادثة فظيعة، ردت عليه وهى تقرأ أن الضفادع البشرية قاموا بعمل بطولى فى إنقاذ معظم ركابها ! قال أنه كان ضمن هؤلاء الضفادع، التفتت إليه وفهمت نوع ملابسه، هنأته على المجهود الذى قاموا به، قال انه لم ينم منذ ثلاثة أيام، قالت كلمة مواسية، وكلمة مشجعة، وكلمة مهنئة على سلامته، وجدها مهتمة به، فحكى عن الحادثة، وما فعله مع فرقته المنقذة.

أثناء حديثه كانت تنظر إليه بحنان أم تستمع إلى حكاية ابن جاءها بعد رحلة خطرة ومتعبة، أرادت أن تحضنه وتضع رأسه على صدرها، طلبت له قهوة كما طلبت لها، اعترض على عزومتها، فقالت انه اقل شئ يمكن أن تقدمه لبطل، أثناء حديثه بهرته نظرة

عينيها له بالإعجاب، وضمة شفتيها على فنجان القهوة بحنان، أعجبه قوامها غير الممتلئ بدليل أنها تضع ساقا على ساق بدون مشقة، أراد أن يحتضن هاتين الشفتين بشفتيه، وهذا القوام بذراعيه، حدثها عن حياته وحيدا بعيدا عن اسرته فى مدينة الثغر حيث دراسته وعمله، قال أنه شعر براحة وهو يحدثها لم يشعر بها من قبل مع فتاة من اللاتى عرفهن، كلهن يطلبن منه ان يغير نوع عمله، ولا يحتملن ما يحكيه عنه، قالت انها تحب العمل الملئ بالمغامرة والمخاطر، وإن كانت تزوجت من رجل هادئ، وعمله أكاديمى، وأنه فى هذا المؤتمر المنعقد، نظر إليها بإعجاب.. ومنئ نفسه بمغامرة عاطفية مع امرأة مجربة فى منتصف العمر، جميلة، وتشعر بملل فى زواجها، فلأى سبب يمكن أن تهتم به غير هذا السبب؟!!

قال أنه حضر إلى القاهرة فى طريقه إلى مدينة الثغر ليزور والديه ويطمئنهما على سلامته، وعلم أن والده فى هذا المؤتمر فجاء ليراه، نظر فى ساعته وقال انه لابد أن يلحق بسيارة السفر، اخبرته انهم على وشك الانتهاء،ووجدت زوجها أمامها، قدمته إلى البطل، وباختصار حكت له عن مهمته الشاقة، رحب الشاب بمعرفة زوجها، ولابد انه يعرف والده فلان، أخبره الزوج أنه يعرفه، وليذهب إليه فى قاعة المؤتمر إذا كان متعجلا، فقد تركه يتحدث مع أخرين.

ذهب الشاب لوالده. وانصرفت هي مع زوجها، نسيت الشاب وبطولته بمشاغل حياتها، وإن كانت اعتبرته نموذجا للشاب الجاد في عمله، وتمنت أن يكون ابنها مثله، أما هو فلم ينسها، وطلبها ذات مساء وكانت وحيدة في بيتها، بطبيعة الحال لم تعرفه. فذكرها بنفسه ورحبت به الترحيب المناسب لبطل، أخبرها أنه عرف أرقام تليفونها من اسم زوجها وسألها إذا كان موجودا، فسألته بدورها إذا كان يريده في طلب ما لتخبره عنه عودته، قال إنه يريدها هي، فإعجابه بها طغى على احلامه وصحوته، وانه يشتاق لرؤيتها، ولم يجرؤ على الإفصاح بمشاعره هذه لولا شعوره بأنها تبادله هذا الإعجاب، فالذكر يفهم إشارة الأنثى بإعجابها به.. وقد فهم.. لم تفقد هدوءها وقالت بكلمات حاسمة أنه فهم إشارة إعجابها ببطولته خطأ.

انهت المكالمة وهي تهز رأسها متعجبة. التفتت إلى المرآة.. تأملت قليلا ثم ابتسمت بمرح.

حكاية رقم ١٨

يوم عيد ميلاده

جاء المساء ولم يحضر أحد، سحب جهاز التليفون ! لشرفة المطلة على النيل، هل يحدثهم ليعرف السبب ؟ ! لم تنخفض حرارة الجو منذ الصباح وحتى نسمات المساء الرطبة، قررت الا تحضر له، شعر باختناق عندما سمع صوت زوجته تناديه ليلحق بها فى حجرة المعيشة المكيفة الهواء، ويحتفل بعيد ميلاده معها مادام لم يحضر أحد، ربما فى تلك اللحظة فقط إكتشف لماذا لم يحضر أحد ! !

لقد تعود منذ عشرين عاماً أن يحضر أصدقاؤه وبعض اقاربه وافراد اسرته إلى بيته في يوم عيد ميلاده ليحتفلوا به ،يحضرون الحلوى والمأكولات لتضاف إلى ما يقدمه لهم، لقد تعود إلا يدعوهم، هم الذين يدعون انفسهم وهذا كان يسعده .

فى أول عيد ميلاد له بعد زواجه الثالث جاءوا إليه كعادتهم فرحين به، فهو الشخصية المحبوبة، صاحب المركز المرموق بين أصدقائه وعائلته وكل أقاربه، وفى ثانى عيد ميلاد له بعد زواجه الثالث جاء إليه نصف الأصدقاء. وربع الأقارب واثنان فقط من أسرته، وهذا عيد ميلاده الثالث بعد زواجه الثالث ولم يحضر أحد ! !

فى مكتبه فى الصباح كان رنين تليفونه الخاص لا يكف عن النداء من أصدقائه واقاربه وافراد أسرته يهنئونه بعيد ميلاده.

وكل منهم يقول حجة لاعتذاره عن الذهاب إليه كعادته، أولا أخذ الموضوع ببساطة، وعندما تكرر الاعتذار شك فى الأمر، ولأول مرة فى حياته يرجو من يحدثه أن يذهب إليه فى المساء كعادته، وأمام إلحاحه بوعده المتحدث بالذهاب إليه، ومع ذلك لم يحضر أحد!!

عاد صوت زوجته يناديه، ذهب إلى حجرة المعيشة المكيفة الهواء، نظر إلى كعكة عيد الميلاد والشمعة المضاءة، وتسجيل بأغنية عيد ميلاد سعيد، كان أصدقاؤه وأحبابه هم الذين يغنون له، جاءت الأغنية قبيحة إلى اذنيه، شعر بإختناق فعاد إلى الشرفة، لحقت به زوجته، سألته ماذا به؟! وقبل أن يرد عليها قالت: إن الجو فى الشرفة خانق، لم يقل لها أنه فى الداخل أكثر اختناقا، ورجاها أن تتركه وحده، ربما لثانى أو ثالث مرة فى حياته يريد أن يجلس وحده فهو لا يحب أن يبقى وحده، يحب أن يكون دائما وسط أصدقاء وناس، ساعده مركزه على هذا، ساعده حب الناس له وحبه لهم على هذا، إنه وسط الناس تماماً مثل السمكة فى المياه، تموت إذا خرجت من مناخها، فهل زوجته هذه تريد أن تقتله؟!.. استعرض حياته مع زوجتيه السابقتين.. الأولى كانا فى أول عمر الشباب، لم تحتمل طموحه العملى وانشغالة به وبالمجتمع وطلبت الطلاق.

كانت فى مثل هذا اليوم تحتفل به مع اصدقائه واقاربه واسرته، كانت تحبهم، وزوجته الثانية ساعدته على تحقيق طموحاته العالية

وعاشت معه سنوات العمر الجميلة، لكن عمرها انتهى قبل أن تصل إلى الأربعين، وكانت تفرح بإستقبال ناسه في هذا اليوم وكل يوم، كانت تفهم طبيعته المحبة للتواجد بين الناس ولم تتبرم بها، خلال السنوات الثلاث التي عاشها مع زوجته الثالثة، لم يعد ابنه من زوجته الأولى يزوره، وطلب ابنه من زوجته الثانية أن يعيش مع جدته.

وتشاجر عدة مرات مع أعز أصدقائه بسبب شكواهم من معاملة زوجته لهم، وقاطعته عدة نساء من صديقاته وقريباته لاتهام زوجته لهن بمغازلته!! واكتفى افراد أسرته بمحادثته في مكتبه، ربما في لحظة تنوير تصيب الإنسان في أوقات شدته، أيقن حقيقة أخلاق زوجته الثالثة، لقد تزوجها تحت ضغط ظروف ضعفه لوفاة زوجته الثانية، لم يحبها حقيقة، ولم تجعله يحبها بأسلوب حياتها وتصرفاتها، وكان يشعر أن شيئا خطأ يحدث في حياته، ربما لم يفهمه ولم يدركه إلا في هذا اليوم.. في يوم عيد ميلاده، عندما وجد نفسه وحيداً، طردت ناسه واحبابه من حوله ليكون لها وحدها، وبإلهام سماوي قرر أن يطلقها، ارتاح لقراره ونام في جلسته.

حكاية رقم ١٩

أخت زوجها..

وجعتها كرامتها.. اخترقت كلمة.. لا.. الطويلة المنغمة اذنها مثل بوق سيارة انطلق فجأة بجانبها.. ألجمتها المفاجأة، وقالت كلمات قليلة لأخت زوجها.. اغلقت سماعة التليفون العمومي الخاص بالمحافظات ووجعتها كرامتها.. منذ خمس سنوات، منذ زواجها، رتبت الأجازة الصيفية كالأتي.. هي وزوجها كل منهما يأخذ أجازة أسبوعا في أول يونيه من الشركة التي يعمل بها،يقضيان هذا الاسبوع في الفيلا التي تمتلكها اخت زوجها على شاطئ جديد بالإسكندرية، وفي منتصف الصيف يأخذان أجازة أسبوعاً يقضيانه في شقة مفروشة على شاطئ المعمورة في عمارة تمتلكها الشركة التي تعمل بها وتخصصها لموظفيها في الصيف، خمس سنوات وهما على هذا النظام الصيفي في قضاء الأسبوعين المصرح بهما لأجازتهما، وأخت زوجها تعرف هذا النظام وترحب بهما وبابنتهما ذات الثلاث سنوات. أخت زوجها كانت مدرسة في التعليم الابتدائي وزوجها استاذا في الجامعة، وقد ورث بعض المال عن والده منذ عدة سنوات فبنى الفيلا على الشاطئ الجديد واستثمر باقي نقوده، وتركت أخت زوجها عملها.

تعبت .. وأصبحت تقضى طول الصيف فى فيلا الاسكندرية، فى أخر الصيف الماضى حصل زوجها على إعارة لدولة خليجية للتدريس فى جامعتها لمدة عام تقريبا، فتركت أبناءها الثلاثة مع والدتها وسافرت معه، وهناك عملت بشهادتها القديمة فى التدريس، أعطت دروسا خصوصية، وقد عادا منذ شهر لقد لاحظت أن أخت زوجها أصبحت شخصية مختلفة، زائدة الثقة فى نفسها، متكلفة فى أحاديثها، لقد كانتا مثل شقيقتين متفاهمتين، فماذا حدث لأخت زوجها؟! لاشئ يجعل الشخص واثقا من نفسه أكثر من اللزوم وسعيدا سوى المنصب والمال، وبما أن أخت زوجها لم تحصل على منصب، فهو المال الذى كسبته هى وزوجها واعتقدت أن الشهور الطويلة للبعاد جعلت بينهما حاجزا وسيزول فى هذا الأسبوع الذى تقضيه معها فى الاسكندرية، كشئ مسلم به أخذت هى وزوجها أول أسبوع من أجازتهما الصيفية، وأعدت ملابس جديدة للشاطئ. بالرغم من أن أخت زوجها أعربت فى السنين الماضية أن بيتها على الشاطئ هو بيت أخيها فليس لها غيره. فلا يصح أن يستأذناها فى الذهاب إليها. إلا انها وزوجها لا يحبان كثرة الزيارات أو الإطالة فيها، فقد حددا الأسبوع الأول من يونية ليقضياه عند أخته.

وهذا معروف من خمس سنوات.. قبل السفر بيومين اعتراها هاجس لم ترتح له فاتصلت بأخت زوجها فى فيلا الشاطئ وقالت لها

انهما أخذا اجازتهما، فسألتها أخت زوجها ببرود.. أين سيقضون هذه الأجازة؟ قالت لها ببساطة وحرج انهم سيقضونها عندها مثل كل عام.. واخترقت كلمة -لا- الطويلة المنغمة، اذنها، فأخت زوجها دعت في هذا الاسبوع بالذات صديقا لهم من البلد الخليجي وزوجته، وهي طوال هذا الصيف ستستضيف اصدقاء من هذا البلد لأنهم كانوا كرماء معهما، ثم سألتها: ألم يأت الوقت لتشترى مع زوجها شقة في أحد الشواطئ الجديدة؟! قالت لأخت زوجها أن هذا ما يبحث عنه شقيقها.. لا تدري لماذا قالت لها هذا، واستسخفت كلماتها، وكلمات أخت زوجها وتعجبت. هل الإنسان عندما يحصل على المال الوفير يعتقد ان كل من يعرفهم لديهم مثله؟! ام أنه يفقد تعاطفه مع الآخرين؟! لقد ضاع عليها وعلى زوجها هذا الأسبوع الاجازة ولن يستطيعا التراجع.. فكل أجازات الموظفين قد حسمت، وما معهما من مال يكفي لما يساهمان به من طعام ونزهات وهم عند أخت زوجها ولايسمح بإيجار شقة، فقد دفعا مقدما إيجار شقة المعمورة لشركتها لتحجزها لمنتصف الصيف ،فكرت في كل هذا وهي عائدة إلى شقتهما الصغيرة المخنوقة بين العمارات، بعد محادثة أخت زوجها، ويزداد الاختناق من حرارة جو القاهرة ،ووجعتها كرامتها.

حكاية رقم ٢٠

الحب على أرض غير متكافئة

في مقهى حديقة فندق على أطراف المدينة في مساء ليلة صيفية.

اختارا منضدة متطرفة بجوارشجرة ياسمين.

سألها: «هل حقيقة تحبينني؟!»

قالت: « أحب وجودك في حياتي، أحب بريق عينيك وهما تبحثان عني. أحب كل ما يتعلق بك. حتى يأسي في حبي. أحبه .سيقولون إني قد جننت فهل نضب الأمل حتى أحب يأسا. سيقولون إني قد جننت فأى شئ في أصبح يغرى رجلا؟! سأرد على سؤالهم الأول وأقول. نعم نضب الأمل في حياتي حتى أصبحت لا أبالي، وسترد أنت على سؤالهم الثاني. فماذا تقول؟

قال: «أقول وجدت فيك كل ما يغرى رجلا مثلي مشاعر عظيمة تمنيتها من زمن .جمال ناضج، وخلق راق لكل هذه الأسباب أحبك. وفوق كل هذه الأسباب أحبك.. جميلة أنت في كل شئ».

قالت: «أنت تضفي على هذا الجمال».

قال: «جمالك نابع من جمال أعماقك وهذا ما أحبه فيك، ومع كل هذا الحب أشعر كثيراً بوجود حاجز بيننا».

قالت: « لأن ظروف حياتك غير ظروف حياتي. أنت في عمر الطموح وتحقيق الأحلام.. أما أنا..»

قال مقاطعاً :«لا تذكرى فارق العمر بيننا هذا شئ لا . . ولن التفت له . لاتشقينى بهواجسك» .

قالت :«هواجسى لأننا لا نقف على أرض واحدة ربما أنت تطلب الحب والمغامرة وأنا أطلب الحب والآمان» .

قال :« أطلب ما تطلبينه» .

قالت :«أحيانا أتساءل كيف بعد حبيبتك الجميلة الصغيرة تحبنى أنا»؟!

قال :«لا تبخسين من قدر نفسك» .

قالت :« أتساءل فقط» .

قال :« ملكات الجمال يهجرهن الرجال . . صدقينى منطق أن تكون المرأة أصغر من الرجل أو . . على الأقل فى مثل عمره منطق اخترعه الرجال ، ليقولون للنساء إنهن يكبرن فى العمر وينتهين . . وهم لا يكبرون ولاينتهون . . وقد أثبت العلم عكس ذلك . . وتوجد علاقات ناجحة بين رجال يصغرون نساءهم . . ياحبيبتى أحيانا تصدمنى أراؤك عندما تكون مثل آراء العامة من الناس أو النظرة السقيمة من المجتمع» .

قالت :« المسألة ليست اجتماعية فقط بل بيولوجية ونفسية« إذا أردنا الحديث علميا» .

قال :«المشاعر أقوى» . قالت :«ليست أقوى من رائحة زهور الياسمين!!»

في اليوم التالى قابلت صديقتها المقربة . قالت الصديقة :«أرى فى ملامحك وتصرفاتك فرحة . وأرى فى عينك حزنا» . .

قالت :«أحب شابا يصغرنى بخمسة عشر عاماً» .

قالت الصديقة :«هذه مغامرة» .

قالت :«أعرف» .

قالت الصديقة :«مثل هذه العلاقة بالرغم من فرحها العظيم إلا أنه يصاحبها حزن عميق» . .قالت«أعرف» .

قالت الصديقة :« ليست عادتك الاستسلام لضعف أو . . خطأ . . »

قالت :« أن يقول لك شخص ما كلمات حلوة وتعجبين به . أن يجعلك تخرجين من قبو همومك أن تلمسك يد بحنان فتجعلك تخرجين من قبو شعورك الميت ، وتحرك فيك مشاعر ظننت إنها جفت . أن تنظر إليك عينان بحب وفرح تجعلك تخرجين من قبو حزنك . وعندما تكونين وحيدة يلعب خيالك مع كل هذه الأشياء ويضيف إليها . . لكل هذه الأسباب لم أقاوم حبه» .

قالت الصديقة :«هذا عن الفرح العظيم . ماذا عن الحزن العميق»؟ !

قالت «عندما أفكر بتعقل . عندما أقرر ألا يتعدى خيالى على حياتى الخاصة ، فحبيبى يقترب فى العمر من زوج ابنتى الوحيدة . . وهى وإن كانت من سنين تلح على أن أتزوج . . لكن كيف ؟ !

ومهما قال مقتنعا إن المشاعر أقوى من نظرة المجتمع وأقوى من حسابات العلوم البيولوجية والنفسية . فالحب لا يستمر طويلا على أرض غير متكافئة» .

حكاية رقم ٢١

شجرة عيد الميلاد

أحمر. أصفر. أخضر. أزرق. إنوار شجرة عيد الميلاد تضئ وتنطفئ، شجرة كبيرة فى بهو الفندق القديم، كم من المرات سارت خطواتها تجاهها، سنة وراء سنة. تحب أن تحتفل بعيد ميلادها فى هذا المكان لتاهد هذه الشجرة. الأنوار تضئ وتنطفئ وجوه كثيرة كانت بصحبتها فى ذات المكان، إعتراها شعور بحزن، لا بشجن ربما، وجوه تظهر لها وتنطفئ مع انوار الشجرة سنة وراء سنة تشاهد الشجرة فى ذات المكان.

منذ الصباح وهى تشعر بالخوف، أصبح الخوف يلازمها فى يوم ميلادها، فى السنين القريبة الماضية عندما تفكر فى حاضرها، وتتذكر ماضيها وتقلق على مستقبل حياتها، فى السنين القريبة المبعزقة، الحائرة تداهمها اشجان نهاية العام، لا. احزان نهاية العام، تداهمها بلا سبب ،لا. تداهمها بأسباب كثيرة سنة وراء سنة. انوار شجرة عيد الميلاد تضئ وتنطفئ احمر. اصفر. أخضر. أزرق. سنة وراء سنة أربع سنوات وهى تبحث عن شاطئ أمان بعد إنفصالها عن الرجل الذى أحبته وخانها، تفانت فى الإخلاص فاغلقت الدائرة حولها، أصبحت حياتها محددة. ابتعدت عن العالم فلفظها، أصبحت حياتها مهددة عندما أكتشفت الخدعة الكبرى،

تركته وعادت إلى عالمها، وعادت إلى هذا المكان لتحتفل فيه بميلادها سنة وراء سنة. أحمر أصفر. أخضر. أزرق. والشجرة فى ذات المكان، فى نفس الميعاد أنوارها تضئ وتنطفئ.

حاولت أن تبتهج مع صحبتها.

تحدثت كثيرا كأنها ثرثارة، وهذا ليس من طابعها. تحدثت لتخفى أشجان نهاية العام. لتخفى الخوف فى نفسها.

قال: لأنى من زمن احب أن أراك. انظر إليك، يخيل إلى الآن اننى أعرفك من زمن »

قالت: «كأنى أيضاً أعرفك من زمن وكنت غائباً».

قال: « كنت فى شوق لك».

قالت: «هذه الكلمات التى نطقنا بها قيلت من قبل الاف المرات».

قال: « كل الكلام قيل من قبل المهم كيف يقال وكيف يستقبله من يسمعه».

انوار الشجرة تضئ وتنطفئ. الماضى يطفو على السطح وينطفئ.

قال: «أحبك».

زاد شعورها بالخوف، لم تفرحها الكلمة. هل قالها صادقا، هل قالها مجاملا، هل تسأله؟! ربما تكون إجابه مضللة. لا يصح أن تسأل هذا السؤال. تلعثم لسانها عدة مرات، ابتسمت وقالت: إنها اليوم لاتستطيع تجميع افكارها. وابتسم

عندما علمت صديقتها انها ستحتفل اليوم معه فقط، حذرتها من ذكريات الماضي والشك والكدر، صوتها يرتفع في رأسها :« إنه يختلف عن السابق، وكان معجباً بك من زمن، ولم يستطع الاقتراب، وكنت في عصمة رجل، وعندما حدث الذى حدث اقترب وافصح عن إعجابه القديم وإنه أخيرا وجدك ،فلا تفسدى الحاضر بحماقة الشك وإفرحى».

كان لابد أن تطير من الفرحة وتبنى امـلاً وتنتشي،لكن يبدو أن الذين عاشوا احزاناً كثيرة وغمرتهم الاما طويلة من الصعب عليهم أن يفرحوا..

سألها : لماذا انت صامتة؟

قالت ساهمة :« أنوار الشجرة تضئ وتنطفئ».

قال بمرح : «أحمر . أصفر أخضر .أزرق».

نظرت إليه بدهشة، هل سمع كل مادار في أفكارها؟!

تعجب من نظرتها واستمر بمرح : «أحمر. أصفر. أخضر .أزرق. أضواء الشجرة مبهجة».

هزت رأسها موافقة وهي تتمنى أن يعديها بمرحه وبنظرته المتفائلة إلى الوان شجرة عيد الميلاد.

حكاية رقم ٢٢

ليلة نهاية صيف

لايمكن أن تمضى هذه الليلة وحيدة .. آخر ليلة فى الصيف .. مر الصيف وخذلت أحلامها ..منذ الصباح وإحساس قوى يؤلمها أن الأيام تجرى إلى سن خطرة«الثلاثين» منذ فتحت النافذة فى الصباح وشاهدت سحبا بيضاء تحجب ضوء الشمس، وسرت قشعريرة فى بدنها من نسمات باردة ايقنت أن الصيف مر وخذل أحلامها .. من الذى خذل أحلامها ..؟!..

الصيف .. أم .. حبيبها؟!

فى أول الصيف حدثها حبيبها فى مشروع زواجهما، وإنه سيصحبها فى رحلة إلى أوروبا .. وحملتها الأحلام الحلوة .. الزواج من حبيبها والسفر إلى بلاد تشتاق إلى زيارتها .. حملتها الفرحة طائر بجناحين .. وطارت الأحلام .. طوال أشهر الصيف القليلة وحبيبها يجد مبررات كثيرة لتأجيل وعده إلى الشهر القادم، وهى تنتظر إلى أن مرت الشهور وفجأة إكتشفت أن اليوم نهاية الصيف، حسب التواريخ المناخية التى تفهمها وحسب السحب التى شاهدتها فى الصباح.

لايمكن أن تمضى هذه الليلة وحدها .. لن تنتظره أن يتحدث أو يسألها أو تسأله اللقاء الليلة. لقد مر الصيف وخذلها.. لن تنتظره.

فكرت فى صديقاتها وأصدقائها المقربين.. هزت رأسها.. إنها لا تريد أن تقابل أحداً يسألها عن حياتها، وماذا فعلت فى الصيف، وماذا فعلت مع حبيبها؟! لا تستطيع مواجهة مثل هذه الأسئلة.. هذه الليلة.

لمعت فى رأسها فكرة.. أن تطلب هذا الرجل الغريب قريب إحدى صديقاتها المقربات، لقد أبدى إعجابه بها يوماً، وكتب لها أرقام تليفوناته، فى البيت والجيب والعمل، ولم تستخدم هذه الأرقام.. لم ترد أن ترتكب حماقة تسىء إلى حبيبها وربما إليها أيضاً.. هزت كتفيها ومطت شفتيها.. حبيبها يهملها.. ولم يعجبها تصرفه الأخير، ومادام خذلها ولم يوف بوعده وقد مر الصيف فلابد أن تخرج من حصار عواطفه وعواطفها، وهكذا فكرت فى الرجل الغريب.

إنه رجل أعزب، حقيقة هو فوق الأربعين وهى تحت الثلاثين، لكنه شاب فى عز نضجه العاطفى وأيضاً نضجه المالى، لقد عرفت من صديقتها إنه ثرى بأعماله التى ورثها عن والده.

فكرت إنها أعجبت به أيضاً.. ومحتمل أن تحبه، وإذا وعدها بالزواج سيفى بوعده. لن يجد مبررات إنه يحتاج لمزيد من المال مثلاً ليتم زواجه كما فعل حبيبها.. وإذا وعدها بالسفر للخارج ستجد تذاكر الطائرة معه فى اليوم التالى لوعده. لماذا تسجن نفسها

وعواطفها مع حبيب يهملها ولا يفى بوعوده، ولم يعجبها تصرفه الأخير.

نظرت في ساعتها.. الوقت مازال مبكرا والليل بدأ يزحف.. وستبدأ الليالى الطويلة.. سرت قشعريرة فى بدانها.. لا يمكن أن تمضى هذه الليلة وحدها..

وطلبت الرجل الغريب فى أرقام البيت.. رد عليها مباشرة.. رحب بصوتها قبل أن يعرف من هى رحب بها أكثر عندما عرف من هى.. قالت إنها تعجبت أنه رد عليها مباشرة.. قال: إن عمله طوال اليوم يتعب أعصابه فيحب أن يقضى الليل فى شرفة بيته المطلة على النيل مع صحبة أو وحده.. أو يقضيه فى مكان عام.. كازينو.. ملهى ليلى..ترددت لحظة ثم سألته.. وأين سيمضى الليلة؟!

قال: إنه سيمضيها فى شرفته.. قالت:« الليلة أخر ليلة فى الصيف».. ضحك.. قال :إننا لم نعد نعرف أخر ليلة فى الصيف أو.. أول ليلة فى الشتاء فمناخ الكون تلخبط.

لم تجاريه ضحكاته وسألته..« ماذا تشعر فى آخر ليلة فى الصيف»؟!

قال: إنه هذه الليلة يشعر بسعادة لأنها طلبته.. «فأنا لست من الذين يتأثرون بتغيير الفصول ويحدث لبعض الناس اكتئاب أو انشراح حسب حبهم أو كراهيتهم لفصل من فصول السنة.. أنا أتلاءم سريعا مع كل الفصول».

صمتت قليلاً.. فكرت.. هل يتلاءم سريعا مع كل صوت يطلبه؟!

سألها أن تحدثه عن حياتها.. عملها أو دراستها ..ومع من تعيش.. وأين؟!.. لعبت الأحلام في رأسها من سؤاله.. إنه يريد أن يعرف كل شئ عنها.. سألته أن يجيب هو أولا عن أسئلته لها.. ضحك وأعرب لها عن إعجابه بذكائها.. وخفة دمها..وقال لها أولا.. إنه لم يتزوج لأنه لم يجد للآن من تناسب أحلامه.. وربما يجد من تناسبه في هذه الليلة.. لعبت الأحلام في رأسها.. مرت فترة صمت.. سألها إذا كان مسموحا لها بالسهر.. أجابت أحيانا إلى منتصف الليل فقط.. قال: «سندريلا».. قالت في نفسها.. والأمير المنقذ.. سألها إذا كانت تود أن تقابله الليلة ووعدها ان يرجعها للبيت قبل منتصف الليل.

سألته.. أين؟.. قال ببساطة..«هنا في بيتي في شرفتي الجميلة».

غاص قلبها.. لم ترد.. قال إنه مجرد اقتراح وليس في نيته أى شئ خبيث، فهو فرح بمكالمتها ويريد أن يعرفها أكثر.. قالت إنها لاتريد الخروج هذه الليلة.. وستطلبه في وقت آخر.. قال بدون الحاح إنه سينتظر وإنه سعيد بإتصالها.

عاد الإنقباض إلى نفسها وتلاشى أى قرار بضرورة تمضية هذه الليلة مع صحبة أو.. أن تبحث عن صحبة غير حبيبها.ولدهشتها شعرت بإفتقاده، ربما لأول مرة منذ أيام طويلة تشعر بهذا الافتقاد..منذ ضايقها تصرفه الأخير وهى حانقة عليه.

دق جرس التليفون.. رفعت السماعة، وجاءها الصوت الحبيب.. قال إنه ظن أن التليفون معطل فهو يطلب أرقامها من فترة وهي مشغولة.. سألها مع من كانت تتحدث ..أم.. كان أحد والديها يشغل التليفون؟!

شعرت بتأنيب ضميرها.. صمتت.. قال حبيبها إنه افتقدها واعتذر لها عن تصرفه الأخير فلم يكن يقصد جرح شعورها، وإنه كان مشغولا بعمل أسند إليه، وكان غاضبا من نفسه لأنه أغضبها، فلم يستطيع أن يطلبها أياما طويلة.. وعندما وجد تليفونها مشغولا هذه الليلة.. غاص قلبه!!

زغرد قلبها بفرحة، وقالت إنها فعلا كانت متضايقة منه خصوصا هذه الليلة.. ليلة نهاية صيف لم يحققا فيه أحلامهما.. قال:«أمامنا فصول كثيرة.. ولن أخذلك أو أخذل نفسي» قبلت السماعة قبل أن تغلقها .. ابتسمت.. إنها تحبه.. وكانت تلك الهفوة لتلك المكالمة مع الرجل الغريب لأنها كانت آخر ليلة من صيف مضى لم تحقق فيه أحلامها، فاعترتها لحظة مجنونة وأرادت أن تفعل أي شئ.

حكاية رقم ٢٣

كلام العيون

أول مرة تلتقى عيناى بعينيه فى«مترو» الصباح كان بسبب زحام ليس طبيعيا، ربما كانت نظرتى شاكية ومتسائلة عن ذلك الزحام، ووافقتنى نظرته على الشكوى والسؤال.. نزلنا فى محطة واحدة.. لاحظ إنى اتبعه فافسح لى طريقا بين زحام الأبدان ونزلت خلفه.. نظرت إليه شاكره، وابتسمت عيناه.. سرنا فى طريق واحد متجهين إلى نفس الاتجاه، وقف أمام باب شركة هندسة ومقاولات.. وقالت عيناه.. هنا عملى .. سرت قليلا إلى باب البنك الذى أعمل به.. نظرت خلفى، وجدته مازال منتظرا بجوار الباب .. قالت له عيناى.. هنا أعمل. منذ ذلك اليوم بدأت عيوننا تبحث عنا فى المترو الذى يأتى فى هذا الموعد المحدد من الصباح.. تلتقى عيناى به وتلقى عليه سلاما.. وترد نظراته السلام... ينزل أمامى فى المحطة ليفسح لى الطريق.. وتشكره عيناى.. التقينا كثيرا فى«مترو» الصباح، وتحدثت عينانا بلا كلام.. قالت عيناه.. أنا معجب بك.. وقالت عيناى وأنا أبادلك الإعجاب.

عملى فى البنك فى قسم بعيد عن المعاملات اليومية للناس، ذات صباح بعد لقاء عيوننا وتبادل تحيات نظراتنا ، وجدته أمام مكتبى..

قال مبتسما : إنه دار على كل أقسام البنك إلى أن وجدنى.. مد يده بسلام.. وقال اسمه.. مددت يدى بالسلام.. وقلت اسمى..ظلت يدانا متشابكة لحظات فى سلام.. سألنى متى انتهى من عملى، وهل أسمح له بدعوتى على الغداء؟.. رحبت عيناى بنظرة موافقة.. وإتفقنا على لقاء.

فى مطعم بجوار النيل جلسنا متقابلين .. نظرت عيناه إلى وقالتا.. ما أجمل اللقاء..

نظرت عيناى إليه وقالت..وأنا سعيدة باللقاء.. مكان جميل لم أعرفه من قبل.. السماء فوقنا تحمينا أو تراقبنا.. والنيل بجوارنا يبارك تعارفنا.. دقت طبول قلبى تنذر بخطر أو تعلن عن فرح، نظرت إلى عينيه لأسمع ماذا تقولان.. قالتا بلا كلام «أحبك» وقالت عينى ليت الكلمة تقال.

تبادلنا كلمات عن أعمالنا.. تناولنا غداءنا وسرنا بجوار النهر لنعبر كوبرى صغيراً ونذهب إلى محطة «مترو». تشابكت يدانا، أصابع يده بين أصبع يدى.. قرأت يوماً أن تشابك أيدى المحبين معناه الدوام.. «عندما يشبك حبيبك أصابعه بين أصابعك فهو يقول لك سأبقى معك دائماً».. فرحت بالمعنى.. جلسنا فى المترو متجاورين.. تعارفنا على مكان سكنينا.. نبعد عن بعضها محطتين.. قال إنه مع أهله سكان جدد فى المكان.. قلت إننى ولدت منذ أربعة وعشرين عاماً فى هذا المكان.

قال إنه يكبرنى بخمسة أعوام.

تكرر لقاؤنا في المكان الذى تعودت على جماله.. السماء فوقنا تحمينا أو تراقبنا.. والنيل بجوارنا يبارك عواطفنا.. حبيبتي.. حبيبي.. كلمات تقولها أعيننا بلا كلام.. ما أروع حديث الصمت وما أجمل الكلمات التي لا تقال.

وفي ذلك اللقاء، لا أريد أن أقول الأخير، كانت الكلمات في عينيه لأول مرة لا أعرف معناها.. فاضطربت.. أبعدت عيني.. نظرت إلى النيل، وجدت أمواجه الهادئة مضطربة.. بحثت عيناى عن سبب اضطرابها، وجدت مركباً يسير مسرعاً ويبتعد، فانقبض قلبي.

قال حبيبي: إن الشركة كلفته مع مجموعة من المهندسين بعمل مبان في صحراء بعيدة لعدة أشهر.. أو عام.. خنقني الصمت لحظات.. ولا أدرى كيف قلت.. ولماذا قلت.. لا تذهب.

قال متعجباً ومبتسماً.. إن هذا عمله ولابد أن يذهب.. أردت أن أقول شيئاً.. ربما اعتذار عن اعتراضي.. خنقت دموعي الكلمات.. قالت عيناه.. سأعود إليك. وقالت عيناى.. ما أصعب الانتظار.. لا تذهب.. هل هي كلمات قلتها لأني لم أجد كلاماً أعبر به عن رغبتي الحقيقية في الاستمرار؟!

كيف أحاسبه على كلمات سمعتها من عينيه!.. ربما فهمت المعنى خطأ.. ربما لم يكن يعنيها، لكن توجد كلمات كثيرة تقال.. لا يعنيها قائلها.. فما فائدة الكلام؟! أليس كلام العيون الصامت أفضل من كلام شفاه كاذب؟!

حكاية رقم ٢٤

القرود الثلاثة

فرد الرجل ذراعيه للأمام فى حركة رياضية عدة مرات، ثم وضعهما خلف رأسه وفرد بدنه فوق مقعد الشاطئ الطويل فى حركة استرخاء وهو ينظر إلى أمواج البحر، وصديقه الجالس بجواره يتابع حركاته ويبدو أنه ينتظر منه أن يواصل حديثاً انقطع بينهما قبل لحظات.. اخيرا قال:

● «لكى تعيش الآن فى أمان مع نفسك عليك أن تتبع حكمة الثلاثة القرود المشهورة .. لاتسمع : ولاترى ولا تتكلم. استمتع بهذا الشاطئ المتواضع الذى اخترناه فالبحر المتوسط هنا هو الذى تطل عليه شواطئ الساحل الشمالى. لا تتحدث عن أسعار الشاليهات هناك ولاتسأل من الذى يشتريها. عد ما معك من نقود واستمتع على قدر استطاعتك لا تتحدث كما فعلت الآن عن زميل دراستنا الغلبان ولا تسأل من أين له بالمال الذى اشترى به شاليها فخما على شاطئ من الساحل الشمالى، ولا تسأل من يسكن فى عمارة الشقة فيها بيعت بملايين الجنيهات ولا تسأل من الذى سمح بإنشاء عمارة هكذا فى مجتمع ثلاثة أرباع سكانه.. أه لا تقل ماهم عليه!.. لاتقل السلع الاستفزازية وليس الاستهلاكية وانت

تشاهدها على شاشة التليفزيون أو فى أركان الجرائد والمجلات لا تسمع عن مكاسب المغنين الآن من الحفلات والتسجيلات ولا تقل انهم ليسوا مطربين، ولا تتكلم عن مطربين زمن شبابك وشعورك بأنهم كانوا قريبين منك فى اختيارهم لكلمات أغانيهم وحتى مساكنهم، لا تكن مثل أبيك الذى كان يتحسر على زمن عبده الحامولي وكنت تضحك منه.. الزمن يتغير ياصديقي، وكل زمن له حكمته ، وحكمة زمننا هذا هى حكمة القرود الثلاثة».

● «أحكى لك حلما يفسر حياتي وتفهم لماذا أنا أتساءل عن هذه الظواهر والأشياء التى أشاهدها أو أسمع عنها الآن. كان حلما من هذه الأحلام غير المعقولة. كنت اجلس فى سيارة قديمة مكشوفة تشبه هذه السيارات التى فى الملاهى ويسوقها الأطفال، فلم يكن بالسيارة موتور إنما بدالات، ومع ذلك حركت قدمي على البدال وأمسكت بعجلة القيادة وقدت السيارة وأنا اتعجب كيف فعلت هذا.. بدأت السماء تمطر فوضعت شيئا فوق رأسي. اتذكر هذا الحلم جيدا لأنه يفسر حياتي، فهي فى سيارة قديمة بلا موتور ومع ذلك اقودها . ولم يكن الطريق فى الحلم معبدا وهكذا حياتي، طرق غير معبدة متعبة ومع ذلك سرت وأسير فيها، وتفسير المطر فى الحلم، خير يأتى، ويعنى أنه مهما كانت متاعبك فإنها تحمل فى الواقع مصلحة ستعرفها فيما بعد، ومنذ ذلك الحلم وأنا انتظر تفسير المطر فى الواقع».

● «ياصديقى أحيانا وربما كثيرا يجد الإنسان نفسه بعد ثلاثين أو أربعين عاما عند ذات النقطة التى يقف عليها، مهما تغيرت أحواله مع تغير الزمن، ويعيش بأمل احتمال وقوع الأفضل ثم يكتشف أن هذا الأفضل تبدد وضاع ولا يبقى له سوى الذى لا يطاق، لذلك أنصحك بإتباع حكمة هذا الزمن لتعيش فى أمان مع نفسك».

● «هل كان يمكن أن تتغير حياتى إذا كان اختلف اختيارى»؟!

● «ليس من السهل الاقتناع بأن الأمر ما كان ليتغير حتى لو اختلف الاختيار».

● «لا ياصديقى. كل إنسان فى مراحل هامة من حياته يجد نفسه أمام عدة اختيارات، وكل اختيار له نتائجه على مر السنين، وليست النتيجة واحدة لكل اختيار».

● «ربما .. وعليك أن تتقبل نتائج اختيارك، ولأننا على مشارف الستين فاهم شئ فى عمرنا هذا الأمان مع النفس لذلك انصحك باتباع حكمة القرود الثلاثة».

حكاية رقم ٢٥

«SurPrise»

مفاجأة أمريكانى

قالت الزوجة لبناتها الثلاث أنها تريد أن تقيم حفل عيد ميلاد والدهن بشئ مختلف تماما عن كل عام، شيئا يفرحه وينتشله من تعب طوال أيام السنة فى عمله، تريد أن تعمل له «سير برايز» اقترحت الأبنة الكبرى التى فى العشرين من عمرها أن يفعلن كما يشاهدن فى الافلام والمسلسلات الأمريكية.. كيف؟!

أولاً: أن يعتقد صاحب عيد الميلاد أن المقربين إليه لا يتذكرون اليوم، وطبعاً لا ينتظر أن يقام له حفل، ويعددن كل شئ، يزوقن المكان، يدعين الأصحاب والأقارب المقربين، فى موعد حضور الوالد يطفئن كل أنوار البيت بواسطة الزر فى صندوق الكهرباء المتحكم فى الأنوار بعد إضاءتها كلها، وعندما يفتح الباب يجد البيت سابحا فى الظلمة.. تماما كما يحدث فى الأفلام والمسلسلات الأمريكية، يضغط على زر النور المجاور للباب فيجد الكهرباء مقطوعة، وهنا تذهب واحدة منهن إلى صندوق الكهرباء وتضغط على الزر الذى يضئ كل البيت، يفاجأ بالإضاءة مع تصفيق

الموجودين، وكلمة من الأم بصوت مرتفع «سيربرايز» طبعاً سيفرح بهذه المفاجأة إنهن يتذكرن ويحتفلن به، فكرة ممتازة أعجبت بها الأم من الأفلام والمسلسلات الأمريكية، لكنها اعترضت على المكان، فلابد أنه سيلاحظ وجود ترتيبات غير عادية في البيت وإنه لايعود في موعد محدد حسب نوع عمله، وإذا طلبن منه العودة في ساعة محددة سيشك في الأمر، ولن تكون مفاجأة.. ولأنها عائلة ميسرة ويعرفون عائلات جديدة ميسرة يقيمون حفلاتهم الصغيرة في فنادق الدرجة الأولى، في قاعاتها الصغيرة، وأيضا في ملاحق تابعة لها، اهتدى تفكير الأم إلى تأجير مكان من هذه الملاحق عبارة عن قاعة استقبال ملحق بها حجرة تصلح للنوم، وحمام ومكان لإعداد وتوضيب الطعام.. هللت البنات الثلاث لفكرة أمهن العبقرية وأنه يمكنهن طلب إعداد حفل الشاى من الفندق أيضاً، ويدعين الأصدقاء وينتظرون الأب في المكان يطفئون الأنوار، وعندما يحضر يضيئونها وتكون ال«سيربرايز».

لكن كيف يحضرون الرجل إلى مكان المفاجأة؟! إذا قالت له الزوجة أنها تريد أن تصحبه إلى فندق كذا، ربما يتذكر أنه يوم عيد ميلاده الذى لا يتذكره عادة، وإنها تحتفل به ولن تكون مفاجأة، وإذا سألته أن يحضر إليها في هذا المكان الساعة كذا، لابد أن يسألها عن الأسباب، وحتى إذا لم تخبره سيكون مستعدا لمفاجأة، فلن تكون مفاجأة!!

فكرن فى حلول كثيرة بلا فائدة، وأخيرا أهتدين إلى فكرة تجعل من حفلهن حقيقة مفاجأة، قالت الزوجة لزوجها فى ظهيرة عيد ميلاده أن قريبه الذى يعمل فى الدولة العربية الفلانية، اتصل بها فى الصباح وأخبرها أنه مرسل لزوجها رسالة هامة مع سيدة عربية صديقة، ولابد أن يذهب ليستلمها منها اليوم فى فندق كذا.. فى مكان رقم كذا.. الساعة الثامنة مساء تماماً.. سألها الزوج عن فحوى الرسالة، قالت: لابد أنها بخصوص عمل ما، ولما كان الزوج يتعامل مع هذه الدولة تجارياً فقد انتظر خيراً من قريبه، لكنه قلق، لماذا قريبه لم يتصل به شخصياً ثم أزال قلقة قليلا بفكرة أن تلفونات العمل كانت مشغولة وأنه لا يعرف أرقام تليفونية المحمول.

رتبت الزوجة وبناتها الثلاث المكان للحفل فى الفندق، وقبل موعد حضور الزوج حضر كل المدعويين، أطفأوا الانوار إلا من ضوء خافت فى القاعة بجوار الباب جلست فى هذا الضوء امرأة فى منتصف العمر أم إحدى صديقات البنت الكبرى، وقد عاشت مع زوجها فى بلد عربى فتعرف لغة تلك البلاد.. عندما طرق الزوج الباب سألته المرأة أن يدخل، فالباب موارب.. حدثته عن الرسالة التى معها من قريبه بلهجة عربية غير مصرية، وعندما ناولتها له أضيئت كل الأنوار فى المكان، وتعالى التصفيق وأصوات زوجته

وبناته الثلاث ومن شاركهن.. «سيربرايز».

صرخ الرجل من هذه المفاجأة، وتزاحمت أفكاره أنه كان على حق فى قلقه من مكالمة قريبه، ولابد أنه وقع فى كمين من شركة منافسة! أسرعت ضربات قلبه ولم يستطع أن يتبين الوجوه الكثيرة التى أمامه ووقع على الأرض مغشيا عليه.

من حسن حظ الرجل أن السيربرايز التى أعدتها له زوجته جاءت فى عصر التليفون المحمول فقد اتصل أحد المدعوين بصديق طبيب من تليفونه لتليفون الطبيب الذى كان بالصدفة فى نفس الفندق مع أصدقاء، نصحهم لا يحركونه من على الأرض إلى أن يذهب إليهم.. عندما وصل الطبيب كان الزوج قد بدأ يفتح عينيه وزوجته تمسح وجهه بماء بارد.. جلس الطبيب على الأرض بجوار الرجل أمسك معصمه، وضع رأسه على صدره ثم ابتسم وهو يساعد الرجل على الجلوس، نظر الطبيب إلى الوجوه المحيطة وسألهم: ماذا حدث؟!

قالت الزوجة: «أردنا أن نعمل له سيربرايز فى عيد ميلاده».. وحكت له ما فعلته.

قال الطبيب: سيربرايز تعنى أيضاً هجوما مفاجئا والذى حدث منهم ليس مفاجأة سارة، بل هجوما مفاجئا على رجل فى منتصف العمر لم يتعود على مثل هذه المفاجات فى حياته ومجتمعه، وكان يمكن أن يروح فيها.

مذيعة مثقفة

لا أحد من هؤلاء الناس السائرين والمستلقين على الرمال، المتحدثين مع بعضهم، الضاحكين المرحين، لا أحد يعرفها أو تعرفه، سارت وحيدة على رمال الشاطئ تتمنى أن تجد شخصا ما تعرفه لمجرد أن تلقى تحية كل هؤلاء الناس من بلدها، ولا تعرف منهم أحدا، ولا أحد يعرفها تقتل نفسها كل أسبوع لتسليهم، لتجعلهم يعرفون شيئا جديدا في الحياة، أو تذكرهم بشئ قديم في التاريخ، ولا أحد يعرفها، هي مجرد صوت يأتيهم من الإذاعة وصورة تظهر باهتة في المجلات أحيانا.. هي من فارسات وفرسان الميكروفون الذين لا يعرفهم أحد. أين هي من شاشات التليفزيون المحلية، ومحطات البث العالمية؟ المذيعات اللاتي يعملن في التليفزيون أصبحن نجمات في المجتمع ينافس نجمات السينما، إذا ظهرت واحدة منهن الآن على الشاطئ ستلتفت إليها الرءوس ويشيرون لها بالتحية، وربما يسعون للحديث معها، لكنها تحب الميكروفون، أصبحت بينها وبينه علاقة وطيدة على مدى سنوات طويلة، ومهما قيل أن التليفزيون وهذه الأطباق الفضائية سرقت الناس من الإذاعة، إلا أنهم لا يستغنون عنها تماما. في أي وقت من النهارأو الليل يجدون فيها من يسليهم ويؤنس وحدتهم، يعملون، ينامون، يقودون سياراتهم والراديو بجانبهم لا يعطلهم مثل التليفزيون!

جلست وحيدة في مقهى على الشاطئ، في طريق خطواتهم مستعدة أن تقفز من مقعدها وتنادى أى أحد يسير وتعرفه حتى من هؤلاء الذين كانت تتجنبهم، كانت في حاجة إلى لمسة صداقة قديمة أو مجرد معرفة، من سنين كان هذا الشاطئ معمورا حقيقة بالأصدقاء والأهل والمعارف والناس المرموقين في المجتمع، كانت الفيللات والشقق معروفة بأسماء أصحابها، لم تكن تجد مشقة الوحدة في البحث عن أحد تعرفه، وكانت بالرغم من بداياتها في الإذاعة تجد من يعرفها ويستمع إلى ما تقدمه ذهب كل هؤلاء الناس إلى الشواطئ الجديدة في الساحل الشمالي. هجروا هذا الشاطئ عندما زحفت عليه جموع البشر المتناقضة.

ذهب عنه الهدوء وامتلأ بالمحلات وضجة الشباب بألعابهم الجديدة المزعجة، وأصبحت معظم العمارات تؤجرها شركات للعاملين بها، وجوهم تتغير دائما.

فكرة غير موفقة هذه التي جاءتها وحضرت وحدها لمدة يومين لتستمتع بجو البحر، واستئجار غرفة في فندق على هذا الشاطئ الذى أحبته ذات يوم، ولليوم الثاني وهي تراقب جموع الناس الذين لا تعرفهم ولا يعرفونها!! لقد كانت تحضر مع أسرتها إلى هذا الشاطئ في بدايات تعميره، كانت الأسرة تستأجر شقة ثم بدأ صاحب العمارة يطالبهم بالمزيد كل عام فتركوها. الحياة تتغير.. والناس يتغيرون لماذا هي لا تتغير؟! ربما هي من هؤلاء الناس الذين يحلمون ولا يستطيعون تحقيق ما يريدون؟

فى جلستها الوحيدة فى المقهى، سمعت صوتا نسائيا ينادى اسمها، نظرت إلى المنادية بدهشة متسائلة، فأجابتها إنها فلانة زميلتها فى كلية الآداب. قفزت من مقعدها لتسلم عليها وتعتذر أنها لم تعرفها مباشرة، فأجابتها أنها عرفتها لأنها لم تتغير كثيرا، دعت زميلتها لتناول شئ معها فقالت إن زوجها معها، دعتهما معا. قالت زميلتها لزوجها تعرفه بها: إنها المذيعة المثقفة التى نحب الاستماع إلى برنامجها الثقافى. ظهرت علامات التعجب فى عينيها وعلى شفتيها. هل حقيقة يستمعان لها؟! قالت زميلتها: إنهما من هواة الاستماع إلى الراديو خصوصا أثناء الليل ووقت برنامجها. سألت زميلتها: لماذا لم تتصل بها مادامت تعرف مكانها؟!

اعتذرت لها بسبب مشاغل الحياة والعمل والأولاد، وقد ظهر عليها الانزعاج عندما علمت أنها لم تتزوج! ولأن هذا السؤال لم يعد يؤلمها، فقد قالت ضاحكة: إنها عشقت الميكروفون وحبيبها هذا يسجنها فى حجرة مغلقة مكيفة، ويحيطها بأحلام وردية ومبادئ قيمة لم تجدها مع أحد لترتبط به. لحظات مرت سريعة فى أحاديث متنوعة، أعادت للمذيعة ثقتها بنفسها وفى عملها الإذاعى، تبادلت مع زميلتها القديمة أرقام تليفوناتهما بوعد الاتصال، وسارت إلى الفندق لتأخذ حقيبتها ولتلحق بقطار العودة إلى العاصمة، سارت وبها شئ من الانتشاء، كأن كل هؤلاء الناس حولها يعرفونها.

حكاية رقم ٢٧

لا تغيبى عنى كثيرا

تبادلت مع رئيسها كلمات قليلة. قال «سأفتقدك».. ونظر اليها نظرة كانت تتمناها من زمن. نظرة احتوتها وجعلتها تضطرب، فقد كانت نظرته لها دائما سريعة، خاطفة. مدت اليه يدها بالسلام، ولكنه ظل ممسكا بها وهو يقول «سأفتقد أحسن موظفة فى إدارتى» انتابتها مشاعر مختلطة. أرادت أن تضحك وأن تبكى ابعدت نظرتها عنه وقالت: «سأفتقدك أنا ايضا»

قال: «لا تغيبى عنا كثيرا».

لماذا الآن؟!.. ما الذى دفعه الى أن يخطو هذه الخطوة التى كانت تتمناها؟ كان جافا فى معاملته، وكانت هى دائما جادة فى حديثها كانت تؤدى عملها على أحسن وجه لتحوز على اعجابه. لتلفت نظره اليها كانت تحبه فى صمت. تشعر به عندما يكون مسرورا، وعندما يكون مكدرا، وهو نادرا ما يظهر مشاعره، لكنها كانت تشعر به هو أصغر رئيس ادارة فى الشركة، ولم يكن متزوجا، ومع هذا لم يكن فتى احلام الفتيات فى ادارته لجديته وتقطيبه وجه وجفاف معاملته، لكنه كان حلم حياتها وأملها الذى لم تسطع أن تبوح به ربما كان يشعر بحبها قليلا، وربما اكتشفه أخيرا عندما

هنأته على زواجه ولم تستطع حبس دموعها، لقد ترددت كثيرا فى اتخاذ الخطوة الأولى، ولم تستطع ان تظهر له مشاعرها مباشرة. انتظرت ان يقدم هو على الخطوة الأولى، لكنه كان مثلها فى الجانب السلبى من العاطفة.

ومثلها لا يجرؤ على اتخاذ الخطوة الأولى التى قامت بها غيرها.

كان أحيانا يسألها أن ترد على تليفونه الخاص وتقول للذى يطلبه أنه فى اجتماع أو مشغول مع زائريه، وكانت تسمع صوتا نسائيا مميزا يسأل عنه ويهرب هو من هذا الصوت. كانت تفرح انه يهرب، لكن صاحبة الصوت المميز لم تيأس ولم تتوقف عن السؤال الى أن تزوجته.. فلماذا الآن ينظر اليها هذه النظرة ويقول انه سيفتقدها عندما قررت الابتعاد عنه؟

لم تستطع مواصلة العمل معه بعد أن كانت تقوم كل صباح ممتلئة حيوية ونشاطا وتذهب إلى عملها وكأنها ذاهبة الى موعد حب، ثم اصبحت تقوم متكاسلة جسدها ثقيل متعب كأنها كانت تسير طوال الليل، ولم تعد تنتقى ثيابها بعناية، وتعد ساعات وجودها فى العمل لتهرب منه وتدعو كل صباح الا يناديها فى مكتبه لطلب أى شئ. لم تعد تتحمل عملها معه، ربما لا حظت زميلاتها هذا الشعور بالاحباط الذى انتابها، ونصحنها أن تأخذ أجازة، وكانت مترددة هل تأخذ أجازة، أم تترك العمل؟! الى أن جاءها الحل فى رسالة من أخيها الذى يعمل فى بلد عربى يخبرها اذا كانت تريد

العمل معه هناك لمدة عام أو عامين.. وارسلت له موافقتها على الفور، وموافقة مكان عملها على منحها اجازة بدون راتب. هكذا نصحها احد زملائها فى ادارة اخرى، لقد كان فى إدارتها عندما علم أنها تنوى العمل فى الخارج. كان يطلب منها انجاز عمل معين. لإدارته فأحالته الى زميلة لها، ونصحها هذه النصيحة حتى لاتتهور وتقدم استقالتها فربما لا تستطيع مواصلة الحياة هناك.

قررت أن تضع حدا للتردد فى حياتها قررت أن تغير حياتها وتنسى ذلك الحب الصامت لرئيسها وتلك اللحظة الأخيرة معه.

ودعت زميلاتها وزملاءها فى الإدارة قالوا لا تغيبى عنا كثيرا.

أقامت الصديقات حفلا صغيرا لوداعها. تبادلن الأحاديث والحكايات عن حياتهن شعرت إنها ستفتقدهن. شعرت بخوف من المجهول، هذا التغيير الذى سعت اليه، شعرت بخوف منه سألتها واحدة لماذا صامتة.. وقالت اخرى لابد انها تعانى من رهبة السفر، فكثير من الذين يسعون للسفر يسألون أنفسهم فى لحظة اقترابه ما هذا الذى يفعلونه بحياتهم. وقالت أخرى لو عرضوا عليها ثلاثة أضعاف ماتتقاضاه من عملها فى بلدها لن تسافر.

هزت رأسها وقالت لهن انهن لن يفهمن لماذا ستسافر، وليست النقود المضاعفة هى السبب، فقالت واحدة لابد انها مشكلة عاطفية من هذه المشاكل الغريبة التى تتعرض لها بسبب ترددها، وذكرت حكاية حبها لطالب زميلهن فى الجامعة، وكيف تركته

لأخرى. ضحكت بمرارة وقالت لهن انها حكاية قديمة ولم تكن تحبه حقيقة. سألتها واحدة« من الذى تهربين منه ؟« قالت انها تهرب من نفسها فقالت واحدة وهل يستطيع ان يهرب احد من نفسه ؟ !

قالت واحدة انها قلقة عليها فهى الوحيدة بينهن التى لم تتزوج ولا يمكن أن تكون فى شركة كبيرة كالتى تعمل بها ولايوجد احد معجب بها وبدماثة اخلاقها . . أو . . لايوجد أحد تعجب به !

قالت إنها كانت مشغولة بعملها، لكنها قررت بعد ذلك أن تنشغل قليلا بحياتها الخاصة.

تحدثت الصديقات عن متاعب ونوادر حياتهن. وضحكن

قالت : سأفتقد احاديث مقابلاتنا ودفء صحبتنا.

قلن لها : لاتغيبى عنا كثيرا.

تحسست فراشها. نظرت إلى محتويات حجرتها. ارادت أن تبكى أو تنام لم تستطع البكاء ولم تستطع النوم.

فى سكون الليل نتذكر الأيام الماضية والأيام الحالية .والأيام التى نريدها أن تأتى كما نرجو نتذكر الكلام الذى قيل، والذى كان يجب أن يقال. لقد قررت أن تضع حاجزا على القديم. حاجزا لا تستطيع أن تقيمه بسهولة، بينها وبينه ؟ !

تعجبت من الصوت الذى ناداها فى الليل، كان زميلها الذى نصحها الاتستقيل من العمل وتأخذ أجازة بدون راتب.

قال انه كان فى مهمة عمل للشركة منذ يومين ولم يعد من السفر الا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل، وعلم من زميل لها عن سفرها فى الغد فأراد ان يودعها.

تعجبت من مكالمته وفرحت فرحة مبهمة طلب منها ان ترسل له عنوانها لأنه يريد ان يكتب لها سألها.. هل ستكتب له؟

قالت: «سأكتب»

قال: «لاتغيبى عنى كثيرا»

كلهم قالوا لها.. لاتغيبى عنا كثيرا، حتى رئيسها قالها بصيغة الجمع!

.. لماذا زميلها قال العبارة بخصوصية شديدة خفق لها قلبها؟!.. هل .. هل.. و..هل ؟!.. اسئلة لا تستطيع ان تصوغها واجابات لا تستطيع ان تتكهن بها هزت رأسها محذرة نفسها من وهم جديد يدخل حياتها.. لكن لماذا هذه الخفقة المباغتة فى قلبها؟!!

حكاية رقم ٢٨

أول موعد حب

ليست أول مرة تذهب إلى مدينة الإسكندرية، لكنها أول مرة تمر بسيارة في هذه المنطقة من الكورنيش القريبة من محطة الرمل، وليست أول مرة تشاهد البنايات العريقة في هذه المنطقة، لكنها أول مرة تتأمل إحداها وتثير ذكريات قديمة..لقد توقفت السيارة أمام إحدى هذه البنايات العريقة بسبب حادثة في الطريق.. سيارة سياحية كبيرة تجلس فيها مع وفود من دول مختلفة والوفد المشاركة فيه لحضور مؤتمر دولي في فندق فلسطين في المنتزة .

كان الوقت عند ظهيرة يوم دافئ، وجلستها بجانب نافذة ناحية البنايات على مقعد منفرد. رفعت رأسها لتتسلى بمشاهدة البناء العريق فوقعت نظرتها على لافتة في الدور الثاني تحمل اسم «بانسيون..» شعرت بإضاءة تنبعث من مكان في ذاكرتها، من هذا الكمبيوتر البشري المسمى بالمخ ركزت على هذه الإضاءة، فظهرت أمامها أحداث تلك الحكاية البعيدة في ستينيات القرن العشرين.

●●

الوقت كان في شهر يولية وأيام احتفالات الثورة بعيدها. كانت تعمل في شركة جديدة. شبان وشابات زملاؤها وزميلاتها يعملون

في جو أسري ،بجدية ويمرحون بنقاء نفوسهم وقلوبهم ، وكانت معجبة بأحد زملائها بشكله ، ومرحة حتى خيل إليها أنها تحبه حقيقة .

كان يوم خميس عندما اقترب من مكتبها وأخبرها أنه سيسافر إلى الإسكندرية لحضور الاحتفالات هناك ويعود الجمعة بسيارة والده العتيقة . سألها إذا كانت تريد شيئا من هناك :قالت أنها تود السفر لزيارة أختها المقيمة هناك ، إذا كان ممكنا أن يصحبها معه . . رحب بها واتفقا على موعد لقاء عند الغروب .

اعتبرت أنه أول موعد حب في حياتها ، وفرحت بالمغامرة . أقنعت أمها بعد إلحاح شديد أن توافق على سفرها لزيارة أختها بكذبة صغيرة أنها ستسافر مع مجموعة في سيارة كبيرة .

لقد كانت أمها شديدة الحرص عليها بعد وفاة والدها ولأول مرة تتركها تسافر وحدها .

عندما وجدته في السيارة ينتظرها اضطربت قليلا ، وخفق قلبها وهي تجلس بجانبه . وحاولت إقناع نفسها أنها مسافرة معه إلى أختها التي تشتاق لها وليس لمغامرة معه ، فأزداد اضطرابها ، وسرعان ماذاب توترها بأحاديثه المرحلة وأحاديثها معه

جلسا في استراحة الطريق الصحراوي الوحيدة وقتها ، وعندما عادا إلى السيارة وجدا إحدى عجلاتها نائمة . . استعان بأحد العمال ليساعده . . لم يعمل موتور السيارة ، فذهب العامل ليحضر

ميكانيكى سيارات من الجوار.. عمل ساعة وأكثر لإصلاحها وطوال ذلك الوقت كان زميلها يسخر من مقالب سيارة والده ويعتذر لها، لكنها لم تكن منزعجة!! كانت تتمنى أن تقضى طول الوقت معه فى ذلك المكان الصحــــرواى، ولا تذهب إلى الإسكندرية ولا ترى أختها!

قاد السيارة بعد إصلاحها بسرعة منخفضة حسب نصيحة العامل، وعندما وصلا إلى الإسكندرية كان الليل قد انتصف تقريبا. أمام المنزل الذى تسكنه أختها نزل معها حتى يطمئن على وصولها إلى شقة أختها، فقالت ضاحكة إنها لا تترك بيتها فى الليل! استيقظ البواب على صوتهما الضاحك ليسألهما ماذا يريدان؟ ذكرت له اسم زوج أختها. قال أن الأسرة سافرت عصر ذلك اليوم إلى القاهرة! لم تصدقه لأن أختها لا تترك الإسكندرية فى الصيف وصعدت مسرعة إلى الدور الثانى، ونزلت لزميلها واجمة! اقترح أن يذهبا إلى فندق لتبيت الليلة وهوسيذهب إلى شقة قريبه الذى ينتظره.

لم تكن الفنادق الكبيرة كثيرة.. فندقان أو ثلاثة، مرا عليها، لم يجدا مكانا فكيف يجدان حجرة فى ذلك الوقت من العام وفى يوم أجازة واحتفالات؟! اعتذرت لزميلها لأنها لم تتصور ألا تجد أختها، ولابد أنها أرادت أن تفاجئها وأمها بالذهاب إليهما بدون علمهما كما أرادت هى أن تفاجئها، اعتذرت بأنها لا تحب أن تكون عبئا على أحد.. ربت عليها ومسح على شعرها، وهز رأسها.. أنها ليست عبئا عليه بل صحبة جميلة مؤنسة.

إقترح عليهما احد العاملين فى فندق كبير أن يبحثا فى «بانسيونات» الكورنيش. قال زميلها أنه لن يتركها تبيت وحدها فى «بانسيون» فهو عبارة عن شقة كبيرة بها حجرات وحمامات مشتركة وسيأخذ حجرة أيضاً، وبعد مرورهما على عدة بانسيونات وجد حجرتين فى هذا البانسيون فى البناية العتيقة.

●●

تحركت السيارة السياحية الكبيرة، انفرجت أزمة تعطيل المرور.. وتحركت ذكرياتها.. إنها ليست أول مرة تشاهد اسم هذا المقهى. وليست أول مرة تمر بجواره. بل إنها كثيرا ما دخلته وتناولت القهوة والحلوى مع زوجها وابنتيهما عندما ينزلون إلى الحى التجارى فى المدينة، لكنها أول مرة تتذكر تلك الليلة.

●●

فى البانسيون وجدا الحجرتين متواضعتين، وربما لا يستطيعان النوم، واقترح زميلها أن يذهبا إلى مقهى أو كازينو قريب يمضيان بعض ذلك الليل. وذهبا إلى المقهى.

كان جانبا منه به بيانو وبعض العازفين على آلات موسيقية، جلسا فى ركن من المكان المزدحم ثم انضما إلى الشباب الراقصين، وآعتقدت أن الحظ دبر لها هذه الظروف لتنعم بليلة مبهجة وقرب الفجر عادا إلى البنسيون.. فى الصباح سمعت طرقات على باب حجرتها وصوت زميلها يوقظها.. وأنه سيحجز

لها الحمام المقابل لحجرتها. غيرت ملابس نومها، ووجدته ضاحكا يقف أمام الحمام المغلق كأن به أحدا وهو ينتظره!

جمعت أشياءها فى حقيبتها وخرجت إلى بهو البانسيون. وجدت زميلها ينتظرها وقال أنه دفع حساب المبيت وليتحاسبا وهما يتناولان إفطارهما فى مطعم فول قريب.. فى تلك اللحظة وجدت أمامها ابن خالتها.. تسمرت نظرتها، ابتسمت، قالت كلمات كثيرة متلاحقة عن وجودها مع زميلها فى البانسيون..كلمات كلها صادقة لكنها خرجت من بين شفتيها متلعثمة، عرفت ابن خالتها على زميلها ،وقال أنه أيضا لم يجد مكانا فى فندق فبات هنا.. ومع ذلك دارت نظرته بينهما غير مصدق كلماتها الصادقة.

خرجت مع زميلها وهى مضطربة قالت أن ابن خالتها سيحكى حكاية مغلوطة لأمها فقال ألا تهتم بكلام احد ما دامت هى صادقة، سألته بعد إفطارهما أين ستلقاه فى نهاية اليوم ليعودا معا إلى القاهرة، وأنه ليس مضطرا لصحبتها وستتصرف وحدها.. قال أنه كان سيذهب إلى قريبه أو أى أحد يعرفه. وما دامت لم تجد أختها فليمضيا اليوم معا.. إنه لم يخصها برغبة فى صحبتها هى. أو أى أحد! وأبعدت تماما فكرة أنه معجب بها .

إنها ليست أول مرة تدخل فيها حدائق المنتزة، وليست أول مرة تشاهد فيها فندق فلسطين، لقد جاءته مع زوجها وابنتيهما عدة مرات لتناول طعام الغداء.. لكنها أول مرة تقرأ اللوحة التذكارية عن

تاريخ بناء الفندق عام ١٩٦٤ .. وجدت إضاءة من الكمبيوتر البشرى فى مخها لتتذكر بقية الحكاية .

فى ذلك الصباح اقترحت على زميلها أن يذهبا إلى حدائق المنتزة ، فهى لم تدخلها من قبل منذ فتحت الثورة أبوابها ليستمتع بها كل الشعب .. أمام هذا الفندق توقفا كثيرا ، وعلما أنه بنى فى العام السابق بأمر من الرئيس جمال عبد الناصر ليلتقى فيه مع الرؤساء والملوك العرب فى إجتماع قمة ، وأطلقوا عليه اسم فلسطين .. ربما لأن الاجتماع كان من أجل القضية .

يومها أعربت لزميلها عن أمنيتها أن تنزل فى هذا الفندق . وكان يوما مبهجا بين حدائق المنتزة وشاطئه ، وعندما تركا المدينة وقت العصر تذكرت ابن خالتها وأنه مشهور فى العائلة بحكايات النميمة ، فماذا سيحكى لأمها ؟ !

●●

فى حجرتها فى الفندق اتصلت بزوجها لتطمئنه على سلامة وصولها ، وتهيأت للنزول إلى مجموعة العمل لافتتاح المؤتمر بعد الغداء .. ابتسمت وهى تنظر إلى التليفون .

●●

لم يكن وقتها الاتصال التليفونى سهلا بين الإسكندرية والقاهرة .. كان لابد من الذهاب إلى سنترال والوقوف فى طابور طويل ، فلم تضيع وقتها لتتصل بأمها وتطمئنها ، وربما لم يتصل ابن

خالتها بأمها لنفس السبب ، وعندما وصلت إلى منزلها قالت لأمها مباشرة وبأمانة ما حدث .

ومع ذلك لم تمر الحادثة بسلام ،فقد عاد ابن خالتها في اليوم التالى .

وتحدث مع أمها . وتصرفت الأم بوجهة نظرها تصرفا سليما ! ! فقد أخبرها زميلها أن والدتها طلبته في الشركة ودعته لتناول الشاى معهم وفرصة ليتعرف على أختها وزوجها . وفجأة قال لها أنه سيطلبها للزواج ! !

خفق قلبها غما وليس فرحا ، سألته ماذا قالت له أمها . قال أن هذه رغبته !

لابد أن أمها أحرجته ، فإذا كانت هذه رغبة حقيقية كان يمكن أن يفصح لها عن إعجابه وحبه فى تلك الرحلة ، وكانت أمامه فرص كثيرة لقد كادت هى أن تفصح له عن إعجابها وحبها ! إنها ورطة وقع فيها وهى لم ترد أن تستغل هذه الورطة طلبت منه ألا يحضر لزيارتهم ، وإنها هى المسئولة عن الورطة التى وقع فيها وهو ليس مضطرا للزواج منها . قال أنه يحبها هزت رأسها بالنفى . . وثارت على أمها وأختها أيضا وابن خالتها الذى أخبر أمها كاذبا أنه لم يكن فى البانسيون سوى حجرة واحدة خالية ! . . مرضت بالغضب والكرامة المجروحة وقتل الحب الذى كان يمكن أن ينمو بينها وبين زميلها . . لم تكن طبيعة الحياة ومبادئ المجتمع وقتها يدفعان الشباب إلى الانتهازية العاطفية ، وإلى الزواج بطرق ملتوية ! !

••

جلست فى بهو الفندق تنتظر مجموعتها، ابتسمت.. يااااه.. ما الذى جعلها تتذكر تلك الحكاية بالتفاصيل الدقيقة بعد خمسة وثلاثين عاما من حدوثها؟!..هل لأنها وحدها فى مدينة الإسكندرية لأول مرة بدون أسرتها فلم تشغلها مطالبهم والعناية بهم عن تذكر تلك المغامرة الوحيدة؟! هل لأن الإنسان مهما مرت السنون وتغيرت نظم الحياة وتوالت الأحداث لاينسى نبضات حب شعر بها قديما؟! لا ينسى أول موعد حب؟!

حكاية رقم ٢٩

بعيد عنى تناديني!

خطابه جاءها من الجانب الأخر من الكرة الأرضية، حيث لا يختلف فقط الليل والنهار عن موقعيهما، بل تختلف أيضاً فصول السنة. كتب لها الخطاب في ليلة شتوية شديدة البرودة والشعور بالحنين لصحبة متفاهمة دافئة مثلها، وقرأت الخطاب فى نهار صيفى شديد الحرارة والشعور بالحنين لكلمات ترطب نفسها بذكرى حلوة

إنه يتذكرها كما لو كان فراقهما بالأمس فقط. ولم يمر عليه ربع قرن من هذا الزمان، حتى أصبح من القرن الماضى.. شاهد صورتها في جريدة أرسلها له صديق مصري من بلد آخر ضمن مجموعة من المطبوعات . جميلة كما كانت وتذكرها بحنين كما كتب. وعلم من التحقيق الصحفى فى الجريدة أنها مازالت فى نفس عملها، لذلك أرسل لها هذا الخطاب بهذا الحنين لصحبتها فهل تتذكره هى أيضاً؟! فى نهاية الخطاب كتب ملحوظة: (ضاع منى شريط التسجيل الذى أهديته لى فى آخر لقاء مع شرائط تسجيل كثيرة أثناء تنقلاتى من بلد لآخر. تكدرت لضياعه.. هل تذكرين أغنية أم كلثوم «دليلى احتار؟!) تمتمت بكلمات من الأغنية :« بعيد عنى تنادينى. ومين يقدر يوصلنى» ابتسمت وهى تتذكر ترجمتها لبعض المعانى

فى الأغنية باللهجة المصرية ليفهمها :« أقول إمتى أنا وأنت حنتقابل مع الأيام» تذكرت ضحكاتها« أتساءل متى أنا وأنت سنتقابل مع الأيام» . . كيف تغنيها أم كلثوم هكذا ؟ ! ابتسمت وهى تتذكر كان يحب اللهجة المصرية لكنه لم يستطع استخدامها ولم يفهم معظم معانى كلماتها ، كما لم تفهم معظم معانى كلماته بلغته المحلية .

لقد قابلته هى إحدى المدن الأوروبية ، كان منفيا عن بلده إراديا ، اختار أن ينفى نفسه بعيدا لظروف سياسية ، وهى كانت فى رحلة عمل ، عربى وعربية لا تهم الجنسية فى ذلك العمر الذى التقيا فيه عمر الشباب المزدهر ، لم يسأل أحدهما الآخر أو نفسه سؤالا عويصا : ماذا بعد ؟ !

فى ذلك العمر عندما تخفق القلوب على أنغام الحب تصمت أسئلة المنطق ، على الرغم من دراسته وعمله العلمى كان شاعرا ، وعلى الرغم من دراستها وعملها فى الأرقام الحسابية كانت رومانسية ، وما أجمل لقاء الشاعرية بالرومانسية فى مدينة النور والفن ، فى وجهها وحديثها وعاطفتها وجد الشاعر قصيدته المنسية ، وفى وجهه وحديثه وعاطفته وجدت الرومانسية مشاعرها المنسية ، وتألقت الحياة بلقاء اتهما فهل يفترقان ؟ !

سألها صحبته فى منفاه ، وعدته أن تفكر ، ولابد للعودة إلى وطنها وعملها والذين ينتظرون نتيجة سفرها ، تواصلا بالخطابات ، وفى العام التالى سافرت إليه فى إجازة صيفية ، أخذت معها شريط تسجيل لأغنية أم كلثوم هدية . هذا الذى ضاع منه .

كان يناديها فى خطاب من خطاباته وكانت تستمع لأغنية «دليلى احتار» بالصدفة، ورددت مع كلماتها «بعيد عنى تناديني ، ومين يقدر يوصلني» وكتبتها له فى خطاب .

وكان أخر لقاء بينهما فى ذلك الصيف منذ ربع قرن من الزمان، سألها أن تنزل فى بيته المتواضع فكانت تلك السفرة على نفقتها، رفضت، لم يتعجب فهى ليست فقط شرقية، بل رومانسية.

هل فكرت؟! عندما ينتهى المنفى الاختيارى ويعود إلى بلده، الوطن العربى بيت كبير يضمهما فى أحضانه، وفهم رومانسيتها.. إنها لا تتحمل الغربة والبرودة الأوروبية، فى المناخ والمعاملات، ومهما كان دفء العواطف بينهما، البعد عن ناسها وبلدها وعملها يمكن أن يجمد عواطفها، لقد مر بالتجربة من قبل وتعود بصعوبة على منفاه الذى اعتقد انه سيكون وقتيا. لم يرض أن يفسد رحلتها ويخبرها أن عودته للوطن غير مرئية !

وفى أول خطاب وصلها منه بعد عودتها كان من بلد أخر منفى جديد. طلب للعمل فى تدريس مادته العلمية. سألته فى خطاب : هل سينتقل من بلد لأخر هكذا؟! لماذا لا يستقر فى مكان إلى أن يعود إلى وطنه؟! أخبرها فى رسالة صراحة أن العودة للوطن مستحيلة لأعوام لايدرى متى تنتهى، وأن تنقله من بلد لآخر يخفف عنه ملل الغربة وانشغاله بالجديد يجدد حيوية آماله وانتظاره. واستمرت بينهما المراسلات، وفى أخر رسالة أرسلتها ذلك العام بعد عودتها كتبت :

«نعم أعرف أننا سنكون مجرد صديقين، نختتم خطاباتنا بكلمات مع حبي وتقديري! ثم تقل الكلمات، ويختفي رحيق المعاني من الكلمات، وتنتهي الكلمات».

وانقطعت خطاباته، ثم جاءتها رسالة بعد عدة أعوام، من بلد أخر ومنفى جديد، تحمل صورته مع زوجة وطفلة، ردت عليه برسالة تحمل صورتها مع زوج وطفل، لم تمنع الرسالتان والصورتان ترقرق الدموع في عيونهما، كل منهما عن بعد تذكر تلك الأيام بصحوة الحب الشاب في قلبيهما، كل منهما أدرك أن الحياة مع الآخر مستحيلة فقرر كل منهما أن يستمر في حياته.

أحيانا يقع اختيارنا على مستحيلات في العلاقات العاطفية حتى نبقى في الحياة التي تعودناها، والوجوه التي تعودناها، والأماكن التي منها معايشنا، أحيانا نشعر أننا لا نحتمل عبء المغامرات وتغيير نوع الحياة، ونستكين للأمر الواقع، ننهمك في أعمالنا لننسى الخيالات، ونتناسى الذكريات، وعندما نتحدث عن حكاية حبنا المستحيلة يوما لأصدقاء لا نشعر بنشوة، هذه النشوة التي نستشعرها من الأمل أن لها بقية، ربما نشعر بغصة ونحن نتحدث عن تلك الذكريات أو حسرة لأن تلك الأيام الجميلة كانت مجرد أحلام صبية.

بعد عدة سنوات أرسل لها خطابا من بلد آخر، لم تصحبه الزوجة والطفلة إلى منفاه الجديد، لم تعد تتحمل الترحال فانفصل عنها، كانت تلك الرسالة قاتمة بمشاعر إحباط جديدة عليه وبدون عنوان.

وبعد سنوات طويلة وصلها هذا الخطاب.. ينادى عليها من النصف الآخر من الكرة الأرضية بحنين للحديث معها وعنوانه لترد عليه.

غريبة هذه الحياة، أحيانا يلتقى إثنان، تتلاقى شخصيتان، يمتزجان عاطفيا وليس بدنيا، نفسيا وليس ماديا، يفرق بينهما المكان والزمان والجغرافيا والطبيعة الفلكية، ولا يزال كل منهما أحيانا يشتاق للحديث مع الأخر، يشتاق للتواصل معه، لا تنكر أنها أيضا تشعر بحنين للحديث معه، ففى لحظات الضيق نبحث فى ذكرياتنا القديمة عن أيام وردية نستنشق عبيرها لتنعشنا ونعيد توازناتنا النفسية.

حكاية رقم ٣٠

مسألة مُضحكة

اجتمعت الصديقات الأربع فى مقهى فندق كبير .. هذا الفندق بمقاهيه ومطاعمه شاهد على لقاءاتهن منذ أربعين عاما .. منذ تخرجهن من كلية جامعية حيث كان تعارفهن .. شاهد على حكاياتهن العاطفية والزوجية ،ومشاكل أولادهن وبناتهن، ونوادر أحفادهن وحفيداتهن .. شاهد على انتصاراتهن وفشلهن .. شاهد على أفراحهن وأحزانهن ودموعهن وضحكاتهن .. شاهد على الارتفاعات والانخفاضات فى طرق أعمالهن .. شاهد على مناقشاتهن الحادة والناعمة .. شاهد على صداقتهن التى امتدت أربعين عاما فى عمر الزمان، وأن الصداقة الممتدة بين النساء ممكنة ! لكنه لأول مرة يشهد على مشاجرة غريبة بينهن، إذ لم تكن كسرت صلة الصداقة فهى على الأقل سببت شروخا فى بعضها !

اجتمعت الصديقات الأربع، وكانت مناسبة اجتماعهن فى هذا اليوم لقاء صديقهن وزميلهن العائد من الغربة الطويلة فى بلاد أوروبا ليستقر فى بلده . كان صديقا مقربا طوال فترة الدراسة الجامعية . وانقطعت صلته بهن بعد عدة سنوات من التخرج . عندما عاد ليستقر فى الوطن قابل صدفة فى محل حلوى إحداهن وهى«ج»

عرفته مباشرة ونادته باسمه ولقبه، نظر إليها مستفهما ثم عرفها. سألها عن الصديقات الثلاث، ولما علم انهن مازلن صديقات طلب منها الاتصال بهن وتحديد موعد للقاء . وياريت تعود صداقته معهن. أعطته إرقام هاتفها لتخبره عن يوم ومكان اللقاء.

اجتمعت الصديقات الأربع قبل أن يصل الصديق القديم إلى مكانهن المفضل في مقهى الفندق : تساءلت«أ» «كيف أصبح شكله الآن ؟ !» فقالت «ج» إنه مازال جذاباً» قالت «ب» :«كلنا كبرنا وربما لم نلحظ هذا على أنفسنا».وقالت«د» :«كل واحدة منا ترى كبر عمرها في وجه الأخرى» !

ظهرت الفرحة والابتسامة على وجوه النساء الأربع والرجل يسلم عليهن بأشتياق ودارت عيناه بينهن، وقال إنهن لم يتغيرن كثيرا فملامحهن لم تتبدل تماما كما يحدث لكثيرات من النساء في أعمارهن ! قالت ! !«أ» إنه أيضا لم تتغير ملامحه كثيرا، ولم ينحن ظهره أو يرتفع كرشه كما يحدث لكثير من الرجال في عمره !

لأن أحداث الحياة العامة والخاصة التي مرت عليهن كثيرة خلال الأربعين عاما منذ التخرج من الجامعة، ومن الصعب اختصارها، وأيضا من الحمق سردها ! وهوأيضا له عالمه العام والخاص في بلاد الغربة. وإن كانت الصديقات الأربع لديهن في عالمهن أشياء مشتركة مررن بها وتواريخ وذكريات اجتمعن فيها. إلا أن الرجل ليس بينه وبينهن أشياء سوى الذكريات القديمة وقت الدراسة :

لذلك بدأن أحاديثهن معه عن تلك الذكريات القديمة والرحلات المبهجة. حوادث متفرقة ومواقف مضحكة، وحتى المحزنة أو المؤلمة أصبحت الآن مضحكة. ضحكن وضحك.. وهكذا.. تذكرت«ب» حادثة مغيظة لابد إنها أصبحت الآن مضحكة روتها ليضحكوا.

ولم تقصد ولم تتخيل إنها ستفتح جرحا مؤلما لصديقتهن«ج»

قالت «ب» ضاحكة موجهة الحديث للرجل: «هل تذكر عندما جئت لتقابل حبيبتك«ن» في منزلي؟! بعد أن رفضك أهلها وحبسوها حتى لاتقابلك: كنا في مساء يوم صيف كنا نجلس ثلاثتنا في حجرة المعيشة .. كانت هي تبكي وأنت تحاول أن تطمئنها إنك ستتزوجها مهما كان رفض أهلها لك. ومثل أفلام الميلودراما القديمة سمعنا جرس الباب متواصلا ثم جلبة في صالة المنزل، وأخت «ن» الكبيرة المعترضة الأولى على زواجكما تفتح باب حجرة المعيشة بغلظة، وتصرخ بشتائم في وجوهنا، وكادت أن تضرب أختها لولا إنك وقفت بينهما. وجاء أبي على تلك الجلبة وكنت قد أخبرته بقصتكما وأنكما ستحضران لتناقشا المشكلة عندنا وكان والدي متفهما لمثل هذه المشاكل فصحب الأخت الثائرة إلى حجرة الصالون ليشرح لها الأمر وليدافع عنك وعني. كانت ليلة مغيظة.. لكنها الآن مضحكة».

ضحك الرجل وقال إنه أغتاظ من حبيبته لأنها أخبرت سجانتها عن مكان تواجدها، وكان يمكن أن تخبرها إنها عند أى واحدة أخرى، وربما كانت تريد أن تحرجه .

أثناء حكاية«ب» المضحكة كانت «ج» تتذكر حكايتها المؤلمة، فقد كانت تحب الشاب فى ذلك الزمن، لكنها خجلت وخافت الاعتراف له مباشرة عن حبها، فقد كانت تعرف إنه منجذب لصديقة«ب» المقربة فى ذلك الوقت.. كانت تشاهدهما فى حدائق الجامعة منفردين.. وكانت تعترف لصديقاتها إنها معجبة به، بينما كانت نار الغيرة تسيل دموعها.. كانت تتمنى أن تكون هى حبيبته كما هو حبيبها، وقد وسوس لها الشيطان بعد حكاية «ب» إنها هى السبب فى ابتعاد حبيبها عنها!!

حاولت«ج» أن يكون سؤالها ضاحكا للرجل، لماذا اصر على واحدة أهلها رفضوه؟! ولماذا لم يتزوجها هى؟! ألم يلحظ إعجابها به؟!..ضحك الرجل كما ضحكت الصديقات الثلاث.. كن يعرفن إعجابها به لكنهن وحتى «أ» التى كانت أقربهن إليها لم تفهم إنها كانت متيمة به.. قال الرجل إن الصديقات الأربع كن مثل أخواته البنات، وكان يجد فيهن رغبة فى الطموح العملى والمغامرة فى الحياة. أما«ن» فكانت بأفكارها البسيطة وطيبتها وشكلها عموما تصلح لأن تكون الزوجة المريحة أم الأولاد!

صمتت النساء الأربع قليلا بعد أعتراف رجل فى اختيار الزوجة !وأدارت«أ» الحديث من الماضى إلى الحاضر والحوادث العامة التى لا تخص أحد بالذات.. استأذن منهن الرجل ليلحق بموعد مع رجل أعمال سيشاركه فى عمل خاص.. ووعدهن أنه سيكون على اتصال بهن ولابد من إحياء الصداقة القديمة فليس أجمل من صداقات زمان.. وعندما انصرف التفتت«ج» إلى «ب» وقالت بانفعال :« علمت الآن إننى صادقت خائنة لمدة أربعين عاما».

كانت العبارة صدمة للصديقات خصوصا المتهمة.. مثل صاعقة مفاجئة فى يوم مشرق.. ردت «ب» متسائلة «خائنة»؟!.. لماذا؟!

قالت «ج»: «جمعت حبيبى بصديقتك «ن» ليتزوجها.. إذا كان تزوجنى أنا كنت تجنبت فشلا كثيرا فى حياتى».. وجمت«ب» من هذا الاتهام وقالت لها إنها لم تكن واسطة بينهما وهو الذى طلب منها أن تجمعه بحبيبته، وكان الجميع يعرفون قصة حبهما، وفى ذلك الزمن كانت«ج» تعبر عن إعجابها بكثيرين من الزملاء. وكان هذا الشاب ضمنهم، وكن يضحكن فى حجرة الطالبات على تعليقات إعجابها .. تدخلت «أ» فى الحديث وقالت إن«ج» كانت تحب الشاب حقيقة، وكانت تشكو إليها عدم التفاته لها، وحاولت جذبه إليها بلا فائدة حتى إنها كانت تتمنى الموت لحبيبته!.. قالت «ب» ساهمة كيف كانت تعرف ذلك الحب ولم تكن «ج»

صديقة مقربة فى ذلك الزمن.. وإنها لم تحدثهن عن حبيبها هذا طوال السنين، فهل ظهوره بعث الحب من جديد لتثور عليها هكذا؟!

زعقت «ج» فى وجه «ب» واتهمتها إنها السبب فى ابتعاد حبيبها عنها لأنها كانت تقربه من صديقتها «ن» لدرجة جمعهما فى بيتها، ولابد أنها تكرهها من زمن وأرادت إذلالها أمام الرجل بسرد هذه الحادثة فلماذا لم تذكرها لهن طوال السنين؟!.. قالت «ب» لم تتذكر تلك الحادثة إلا عندما شاهدت الرجل اليوم، ولم تحكها لهن لأنها كانت لا تخصهن.. ولم تحكها اليوم لإذلال أحد، وقد مر عليها زمن طويل فحكتها لأنها أصبحت فعلا مضحكة. وأنبت «ج» على هذا الاتهام السخيف الذى وجهته لها.

لكن «ج» استمرت فى ثورة انفعالها وقالت إن«ب» تكرهها، قالت«ب» غاضبة أن«ج» هى التى تكرهها وقد عبرت عن هذه الكراهية ذات يوم ليس بعيدا بسبب شئ تافه، وقالتها صراحة، وتجاهلتها«ب» مسامحة.. قالت «ج» محتدة: «أنا لمَ أقلها».. قالت «ب» «لكنى سمعتها»!

تدخلت«د» فى الحديث وقالت لماذا تلصق أى سوء يحدث لنا ونكون نحن السبب، لماذا نلصقه بغيرنا؟!.. ثم وجهت الحديث

ل«ج» : «أنا أفهم إنك يمكن أن تصفى «ب» بالخيانة إذا كانت هى التى سرقت زوجك وكانت سببا فى طلاقك، أو أنها هى التى سهلت هجرة ابنك إلى الشمال. أما أن تتهميها بالخيانة لأنها قربت حبيبك من حبيبته والتقيا مرة فى بيتها من أربعين سنة فهذا شئ مضحك.

قالت «أ» موجهة الحديث ل«ج» «صدقينى لم تكن تعلم بحبك المجنون له لأنها لم تكن مقربة لك مثلى وحتى إذا كانت تعلم فهو الذى طلب منها ذلك اللقاء المشئوم».. قالت «ب» :« يبدو أن لقاءنا به اليوم هو اللقاء المشئوم».. وقالت«د» « الغريب إن «ج» تتهم «ب» بالخيانة مع إن الرجل لم يتزوج صديقتها «ن»..

وتساءلت«أ» بدهشة : « ألم يتزوج من «ن» حبيبته القديمة؟!» ضحكت «ج» كما لو كانت فى حالة نفسية غير السابقة وقالت إن «أ» طول عمرها تنسى.. وليس بسبب العمر الآن تنسى.. وضحكت «ب» وقالت إنه تزوج من أخرى لا يعرفها.. و«ن» تزوجت من الشاب الذى قدمته لها أسرتها وكانت ترفضه.. «وكل منا راح لحاله وحياته».

نظرت «أ» ضاحكة إلى«ج» .. شتمتها.. وسألتها لماذا إذا ثورتها الآن؟! فقد كانت تظن أنه متزوج من..«ن» طوال السنين!

ضحكت الصديقات الأربع، ففى النهاية المسألة كلها مضحكة.

حكاية رقم ٣١

السيد علوانى

اللجنة النقابية فى الشركة العريقة أكثر اهتمامها بالعمال، ليس فقط لأنهم الفئة الغالبة فى الشركة، لكن لأن المهيمنين على النقابة من العمال أيضاً، يقيمون حفلات فى مناسبات وطنية واجتماعية لا يحضرها سوى العمال. ينظمون رحلات صيفية وشتوية لا يشترك فيها سوى العمال وأسرهم، ولأن اللجنة النقابية وصلها بعض النقد لأنها لا تهتم بكل العاملين فى الشركة فقد قرروا أن يشركوا الموظفين فى حفلاتهم، وكانت أول مناسبة خروج السيد «علوانى» إلى المعاش، والسيد «علوانى» موظف قديم فى الشركة، التحق بها بعد أن نال الشادة «التوجيهية» لظروف عائلية، وانتسب فى الدراسة الجامعية فى كلية التجارة. بموهبة وجدية نال أعلى الدرجات فى شهادته الجامعية، وفضل الاستمرار فى العمل لدى الشركة التى ساعدته مادياً ومعنوياً، ولم يهمل رأسه طوال السنين، فقد أتقن من اللغات الإنجليزية والفرنسية، كما أتقن العمل على الآلات الحديثة الحسابية، وبجانب خبرته وثقافته فهو يتميز بخفة الدم والسخرية اللطيفة، طول عمره محبوب من الزملاء والرؤساء حتى من مرؤسيه بعد أن أصبح مديراً للحسابات، يعنى يستحق أن يقام له أول حفل تكريم لموظف فى الشركة.

أعلنت اللجنة النقابية عن حفل تكريم السيد «علوانى» بمناسبة خروجه إلى المعاش فى قاعة الاحتفالات فى الشركة. يوم كذا.. الساعة كذا.. وبرنامج الحفل: كلمات التكريم، شاى وحلوى، أما مفاجأة الحفل فهو المطرب الشعبى فلان.

لم يبتهج السيد «علوانى» عندما أخبره رئيس اللجنة النقابية عن هذ الاحتفال، وسأله لماذا الآن يحتفلون بالموظفين وكثيرون قد خرجوا قبله بدون احتفال؟ ولماذا هو بالذات؟! ولم يبتهج عندما قال له رئيس اللجنة النقابية كلمات كثيرة.. كبيرة عن مميزاته، فسأله إذا كان هو هكذا لماذا لم يوافق مجلس الإدارة على مد خدمته بعد المعاش؟! قال رئيس اللجنة النقابية: هامساً «أنت تعرف أن الرؤساء الآن ليسوا مثل رؤساء زمان، لا يهتمون بذوى الخبرة، أنت فاهم وأنا فاهم وربنا يستر على الشركة من الانحدار»!

أخبره السيد «علوانى» أنه مطلوب للعمل فى شركة خاصة لخبرته وسمعته الجيدة، يعنى هو ليس خارجاً إلى المعاش فلماذا الاحتفال؟! ابتسم رئيس اللجنة النقابية وقال له إنه خرج إلى المعاش بالنسبة لهم، ورجاه أن يحضر الحفل وإلا اتهمت الشركة اللجنة النقابية بالفشل فى عمل تواصل بين العاملين، وربما يجدونها فرصة ليرفضوا عمل أى احتفال فيما بعد، وافق السيد «علوانى» لأنه طول عمره لا يحب أن يخيب رجاء أحد عنده إذا كان يمكنه تنفيذه.

فى المساء أخبر زوجته عن سبب تكدره طوال اليوم، فابتسمت وقالت له: إن الخروج إلى المعاش فى الأوراق الرسمية فقط ما دام الإنسان يستطيع أن يستمر ويعطى فى عمله ويشعر فى داخله بحيوية الشباب. وهل نسى أنها خرجت إلى المعاش قبله بسنتين وأنها ما زلت مطلوبة للعمل فى الترجمة وتستطيع أن تؤديه بإتقان؟! وإذا كانت تمارس الآن عملها فى البيت لأنها تعبت من ازدحام الطرق ولسبب جميل أنهما سيصبحان جدين لأول حفيد لهما، تبادلا نظرة حب واحتضان كما لو كانا شابين فى ليلة الزفاف.

ارتدى السيد «علوانى» بدلته الجديدة السوداء وابتسم فى المرآة لرشاقة قوامه، فعلى الرغم من شعر رأسه الفضى، لا يبدو عليه هذا العمر الذى يكرمونه من أجله! زوجته أيضاً لا يبدو عليها أنها تكبره بعامين، فقد تزوجا فى الثلاثينيات من عمريهما وحرصت الزوجة دائماً علي العناية بنوع غذائيهما ورياضتهما البدنية والذهنية، فلم يترهلا بدنياً أو ذهنياً، واحتفظت زوجته برشاقتها حتى بعد أن أنجبت ابنتهما الوحيدة.

وجد السيد «علوانى» مجموعة من زملائه ومرءوسيه ينتظرونه بجوار قاعة الاحتفال، استقبلوه بالتهنئة والقبلات، وأخبره أحد الزملاء أن رئيس الشركة اضطر للذهاب إلى الوزارة لاجتماع مهم ويقدم له الاعتذار، ابتسم فى نفسه.. هذا أول إحباط، أى اجتماع

وأية وزارة؟! لابد أنه في النادي يجتمع مع اصدقاء، لا يهم، يكفى أن زملاءه الكبار ومرءوسيه حضروا، دفعة زملاؤه إلى القاعة المكتظة بالناس.

ناس لا يعرفهم ولا يعرفون أنه عريس الحفل فلم يلتفت إليه أحد.. وعيال تجرى وتصرخ كادوا أن يوقعوه.. أنقذه رئيس اللجنة النقابية من حيرته وقاده إلى مقعد التكريم في الصف الأول، التفت يبحث عن زملائه، اختفوا، لم يجد سوى ثلاثة من مرءوسيه أحدهم سيلقى خطاب التكريم.

وقف رئيس اللجنة النقابية أمام الميكروفون يسأل الموجودين الصمت، لكنهم استمروا في أحاديثهم مع بعضهم بعضاً، واستمر العيال في الصراخ والزعيق ولعب الاستغماية بين صفوف الموجودين، تحدث الرجل بصوت أعلى عن مناسبة الاحتفال، وأن السيد «علوان» يستحق أول حفل تكريم للموظفين، غضب السيد «علوانى» وقال بصوت مرتفع تصحيحاً لاسمه، فاعتذر له الرجل وقال «علوانى» بكسر العين، وهذا الخطأ في نطق الاسم كثيراً ما يسبب ضيقاً للسيد «عُلوانى». والصح هو ضم العين، لأنه اسمه من «العلو» لكنه لم يتضايق بسبب الضمة والكسرة، بل من طريقة الرجل في الحديث عنه كأنه يؤنبه!!

ثم قام الشاب مرءوسه ليلقى خطابه الذى سهر عليه عدة ليال من جمع معلومات عن رئيسه واختيار الكلمات المناسبة وعمل بروفات

للإلقاء، ومع ذلك لم يستمعوا له، ما لهم ومال أخلاق وعمل هذا الرجل، لقد حضروا من أجل حفل الشاى والمطرب الشعبى، وقبل أن ينهى الشاب خطابه تعالت الصيحات وصخبت القاعة بالتصفيق فظن السيد «علوانى» أنهم يريدون أن ينهى الشاب كلماته التى لا تهمهم، وفوجئ بزغاريد بعض النساء، التفت خلفه فوجد المطرب الشعبى وصل وهم يحيون وجوده !

قاد رئيس اللجنة النقابية المطرب الشعبى إلى مكانه علىَ مسرح القاعة، وأعلن أن مطربهم المحبوب سيقدم هدية الشركة إلى السيد «المكرم»، اغتم الرجل فهذه الهدية كان المفروض أن يقدمها له رئيس الشركة، أو حتى أحد زملائه الكبار، وقبل أن يلتفت حوله باحثاً عن مخرج من هذه المهزلة التكريمية، وجد المطرب الشعبى أمامه يحتضنه ويهنئه ويقدم له علبة قطيفة بها طبق من الفضة، ومصور الحفل يلتقط لهما صورة لهذا الحدث العظيم ! عندما شاهد العيال المصور جروا نحوه ليلتقط لهم صوراً مع المطرب، وفرح المصور للرزق الذى ينتظره من أهالى العيال، وقرر أن يصور واحداً واحداً مع المطرب، ولأن مقعد السيد «علوانى» فى مواجهة وقفة المطرب، فكان لابد من مرور العيال على قدميه !

مال أحد العاملين على رئيس اللجنة النقابية الجالس بجوار السيد «علوانى» وأخبره أنهم سيقدمون بوفيه الشاى قبل غناء المطرب لأنهم لا يدرون متى ينتهى من غنائه. وعمال البوفيه ملتزمون

بموعد، فالمطرب عادة يسترسل حسب طلب المهووسين به وينسى نفسه، انزعج السيد «علوانى» وشعر أن دائرة الاختناق تزدادحوله، أراد أن يبتعد عن مكان البوفيه، لكنهم دفعوه دفعاً إليه، وكرمت بدلته بالكريمة والشيكولاته من أيدى العيال، وبنصف كوب شاى من يد امرأة سمينة، كانت تزاحم لتصل إلى التورتة، زاد انزعاجه واكتمل إحباطه.

استأذن رئيس اللجنة النقابية فى الذهاب إلى دورة المياه ليزيل ما أصاب بدلته، حاول أن يذهب معه وكلماته تسبقه فى الاعتدار، لكن تمكن السيد «علوانى» من التملص من يده وكلماته وبصعوبة خرج من القاعة.. إلى باب الشركة.. إلى الشارع.. خيل إليه أن أحداً يجرى وراءه فأسرع من خطواته ليصل إلى سيارته، لحق به الشاب الذى ألقى خطاب التكريم وأخبره أنه كان يراقبه وأيقن أنه سيهرب من الحفل، لذلك جاءه بالهدية التى تركها على المقعد، ربت الرجل على كتف الشاب شاكراً، سأله إذا كان يريد أن يوصله لمكان شكره نافياً.. وانطلق الرجل بسيارته كما لو كان مطارداً من رئيس اللجنة النقابية والمطرب الشعبى والعيال..

حكاية رقم ٣٢

زيارة

قادت سيارتها إلى أول الطريق الذى وصفه لها خلال الهاتف ، قال أنه سيعرفها من صورها التى يحتفظ بها أخوه ، ويعتقد أنها لم تتغير كثيراً . توقفت خلف السيارة الوحيدة المنتظرة ، تقدم منها رجل فى منتصف العمر وابتسامته تسبقه إليها .

حياها قائلا أنها فعلا لم تتغير كثيرا . حيته وهى تقول أنها لم تعرف بوجوده إلا من قراءة اسمه فى نَعْى أخيه ، لذلك رحبت به عندما طلبها فى عملها .

سارا فى الطريق المقفر تقريبا . قالت :« كنت أنت ضمن الأسرار التى كان يخفيها أخوك ».. سألته كيف ظهر .. ولماذا الآن ؟ !؟ . قال أن هذا كان بتوصية من أخيه .. قرأ فى عينيها أسئلة كثيرة . قال أن والده تزوج من أمه بعد وفاة أم أخيه . ثار عليه هو وإخواته الثلاث . كانوا فى عمر الشباب وقوته :« وأجبروا أبى على إنكارى تماما ، وعندما كبرت نصحتنى أمى أن اصمت ولا أزعج أبى أو أخى الكبير ، أبى لم يقصر معنا . أمى وأنا ، اشترى لنا بيتا صغيرا فى بلد قريب من القاهرة ، ووضع لنا مبلغا كبيرا من المال فى بنك لمصاريف دراستى ومعيشتى وأمى .. طلقها ، ومع ذلك كان يزورنا من وقت لآخر .

رحلت أمي بعد أبي بسنوات.. وأنا تزوجت ولى ابنان والحمد لله أعمل محاسبا فى شركة كبيرة.. منذ خمس سنوات مرض أخى بالمرض العضال.. طلبنى لم أتردد فى الذهاب إليه .. احتضننى ورجانى الا أتركه. سألنى أن أسامحه فكان هو السبب فى إنكارى وإنكار أمي.. ربتنى أمي على المحبة وأبعدت عن أفكارى الحقد والانتقام.. لذلك لم أترك أخي منذ خمس سنوات عندما إحتاج لى.. كانت أمي تقول أن الحق سينتصر لى، وأن وضعى السليم فى الحياة سيأتى لى مهما مرت السنين.. لم يكن أخي يحتاجنى لرعايته فى مرضه.. كان لديه الأطباء المعالجون والممرض المقيم، والشغالة والطباخ.. تعرفين كل هذا.. لكنه.. كان يحتاجنى.. ليس لصحبة كان لديه أولاد شقيقاته وأصدقاؤه الموجودون يزورونه .. كان يحتاجنى كما قال.. ليكفر عن أخطائه فى حقى وإنكارى طوال السنين.. فأنا من لحمه ودمه.. أخوه من أبيه».

هزت رأسها متعجبة فهى طوال العشر سنوات التى عاشتها مع أخيه لم تعرف أن له أخا غير شقيق: «ياله من رجل جبار».. قال: « لم يعد جبارا كما كان».

وصلا إلى المكان.. فتحه بمفتاح معه.. شعرت برعشة فى بدنها وهى تخطو إلى الداخل فوقفت بجوار الباب.. قال:« هل تدرين أنه توفى يوم ذكرى طلاقكما»!!

هزت رأسها :« نعم أعرف.. لنقرأ له من القرأن .. واطلب من الله أن يغفر له.. و .. لى أخطاءنا فى حق بعضنا».

لفهما الصمت لحظات.. أرادت أن تزيل هذا الصمت.. إنه حقيقة صمت القبور.. سألته كيف عرف تاريخ طلاقهما؟!.. قال أن أخاه حكى له عنها كل شئ.. كانت مصباح حياته الذى أطفأه بيديه.. ظن أن حبها له بسبب ثرائه، فكيف تحبه كل ذلك الحب وهو يكبرها بعشرين عاما؟.. اعترف له أخوه بالشك الذى قتل حبها له.. والغيرة التى كان يتعمد زرعها فى قلبها بمغامراته مع أخريات.. أعترف له أنه اتهمها بالعقم وأذاع هذا للجميع بينما كان هو العقيم.. واعترف له أنه لم يتزوج إلا عند دخوله الخمسين من العمر ليجد حجة فى عدم الإنجاب...«خسارة لم يكن علاج العقم منتشرا أو مضمونا فى ذلك الزمن.. كما هو الآن»!

قالت: «كان ذلك سراً من أسراره، وعندما ذهبت بدون علمه إلى أكثر من طبيب وقاموا بعمل فحوصات وإختبارات، وعلمت أننى لست عقيما لم أرد أن أجرحه، لكن بعدها لم أعد أحتمل الحياة معه. أتعبته كما أتعبنى.. ووجدت أن الحياة من الصعب أن تسير، فصممت على الطلاق.. أقسم أننى لن أنال منه مليما ولن يطلقنى إلا إذا كتبت أننى لن أخذ منه شيئا حتى النفقة الشرعية.. وقد كان.. ولتعجبه أننى أعطيته صندوقا صغيرا به مشغولات ذهبية من ماله ..ربما يومها فقط عرف أننى لم أحبه لثرائه، وأنه أفسد ذلك الحب وخنقه بيديه، وطلبت فى نظير تنازلاتى أن يطلقنى طلاقا بائنا.. بلا رجعة.. وقد كان».

أخبرها الرجل أن أخاه لم ينسها بالرغم من مرور عشرين عاما على طلاقهما .. وكان يتتبع أخبارها من معارفه الذين يعرفونها .. وكان من وقت لأخر يفتح ألبوم صورهما معا . ويتحسر على فراقها ويندم على معاملته لها .. أخبرها الرجل أنه سأل أخاه أثناء مرضه أن يتصل بها لتزوره، لكنه رفض بشدة، لم يرد أن تراه على تلك الصورة المريضة، وجعله يقسم ألا يتصل بها فى عملها الذى ذكره له إلا بعد أن يرحل .. فى هذه الحالة يمكن أن يطلب منها زيارته ويسألها أن تسامحه.

«والحمد لله أنك وافقت على هذه الزيارة حتى يرتاح فى قبره».

تمتمت « ليغفر الله .. له ..و..لى».

قال الرجل أن أخاه عندما علم بزواجها تكدر وغار، فكان مرتاحا طوال عشر سنوات أنها لم تتزوج، وأعترف له أنه حاول أن يعيدها خلال العشر سنوات بأى شروط تمليها لكنها رفضت .. ثم سألها .. ألم تنجب من زوجها الثانى؟!

ابتسمت وهى تقول أنها تزوجت وهى فى مقابلة الخمسينيات من عمرها، فكان من الحمق أن تنجب حتى لتثبت أنها ليست عقيما .. أخبرها الرجل أن ضمن ندم أخيه أنه حرمها من الإنجاب .. قالت :« هذه إرادة الله ..» سألها : ألم يرغب زوجها فى الإنجاب؟! قالت أنه أرمل وله ابنة كانت وقت زواجهما عمرها عشر سنوات .. ربتها معه وهى الآن عروس جميلة .. قال الرجل أن الزوجة الثانية لأخيه كانت فعلا طامعه فى ثرائه، وقد حكى له الفرق الشاسع بين

الزوجة الأولى.. والثانية، حتى إنه هو الذى طلقها بعد ثلاث سنوات من الزواج، واضطر أن يدفع مبلغا كبيراً من المال حتى لا تذهب به إلى المحاكم.. « كما لو كانت أخذت بثأرك».

صمتت.. لم تعلق.

قال: « أحيانا الإنسان لا يكتشف حبه.. أو.. قيمة من يحبه إلا بعد أن يفقده.. أحبك أخى حبا عظيما.. وأنت»؟!

قالت: « طبعا أحببته لذلك تزوجته، وبسبب ظروف كثيرة وسخيفة كل منا أخرج من الأخر الجانب السيئ فيه.. فأستحالت حياتنا معا».

قال إنه من حسن حظه أن التقى بأخيه فى وقت كان يتعامل مع الناس بالجانب الطيب الخير فى نفسه، وقرر أن يعلن عن وجوده للجميع، وقد أستدعى أخواته الثلاث ليلتقين به. وسألهن بدون أوامر أن يعترفن بى.. وعرفتهن وأسرهن على زوجتى وأبنى، وكُنّ متحفظات فلم أضايقهن بالاتصال بهن.. فى العام الأخير من حياته جمعنا ومحامى الأسرة وكتب مبايعة لى بالفيللا التى يمتلكها ويعيش فيها، فوجئت حقيقة وأقسمت ألا أوقع أوراقا.. وكدت أبكى وأنا أقول لهم يكفى أنى وجدت أسرتى بعد سنين طويلة من الحرمان.. بعدها وجدت أخواتى الثلاث يتوددن لى.. وأحببتهن كما أحببت أخى وسامحته.. ويوم وفاته قالت لى الأخت الكبرى أننى سأعوضهن عن فقد أخيهن.. وأنه أوصى بالفيللا لى..ولابد أن أقبلها الآن حتى يرتاح أخى.. إننى سامحته.. كما أنه أوصى بجزء من إرث أبى.. لى.. واتصل بى المحامى.

قالت :« تحققت نبوءة أمك الطيبة ودعواتها أنك ستنال حقك فى الحياة» .

قال : «أنت تشبهين أمى فى طيبتها ونقائها . . لقد إقسمت لى أمى . . أنها ما كانت تقبل مالا من أبى إلا من أجلى . . خافت إلا تستطيع تعليمى للدرجات العليا . . أعتقد أن أبى بكى وتحسر على طلاق أمى . . كما بكى وتحسر أخى على طلاقك» .

قال لها أن أخاه أعترف له أن يوم طلاقهما كان اتعس يوم فى حياته ، وأنه فى السنين الأخيرة كان يبكى فى ذكرى اليوم ! !« والغريب أنه يرحل فى نفس يوم الذكرى» ! !

ثم سألها :« وأنت لماذا تذكرين تاريخ اليوم ؟ ! هل كان مؤلما . أم كان يوما سعيدا لك ؟ !»

قالت ساهمة :«توجد تواريخ فى حياة المرأة لا تنساها . . سواء بالألم . . أو بالفرح !» .

قال :« يبدو أنه فى ذكرى ذلك اليوم لم يتحمل الحزن» ! !

قالت :« لا تحملنى أوزارا» .

خرجا من المكان . .أغلق الباب خلفهما . . سارا صامتين . . صافحها عندما وصلا إلى سيارتها وشكرها أنها لبت دعوة أخيه لزيارته . . وبدأ الغروب يظلم المكان . . قاد كل منهما سيارته . . كان كلا منهما قابل شبحا ثم أختفى . . شعرت بدموع فى عينيها . . مسحتها بمنديلها . . لكنها لم تجد فى المنديل ماء لدموع ! !

حكاية رقم ٣٣

رغبة تحت الشجر

لم تكن«م» متحمسة لهذه الرحلة المفاجئة فى يوم الإجازة الأسبوعية، لقد اقترح القيام بها صديق وزوجته، خلال محادثة تليفونية فى الليلة الماضية مع زوجها، تعجبت «م» من حماس زوجها للقيام بهذه الرحلة وحثها على الموافقة. ووافقت بأمل الخروج من حالتها المعنوية المنخفضة التى اعترتها منذ أيام. ربما الإبتعاد عن جدران البيت وجدران مكان العمل يزيل عنها هذا الشعور بالضجر الذى أصبح ينتابها كثيرا فى السنين القليلة الماضية، منذ بدأت هذه المرحلة الصعبة فى حياة النساء عندما يصلن إلى منتصف العمر، والزوج يفهم هذه الحالة التى تنتاب زوجته ويحمد الله أنه ليس أمرأة! أحيانا يفضل الابتعاد عنها والخروج إلى أصدقائه، وأحيانا يحاول أن يخرجها من هذه الحالة بصحبتها فى نزهة أو زيارة، لذلك تحمس لاقتراح الصديق، خمسة وعشرون عاما من الزواج، لابد أن تحدث خلالها انخفاضات وإرتفاعات فى معنوياتهما، واستطاعا التغلب كثيراً على الانخفاضات، والتألق فى الإرتفاعات، لكنها أصبحت تشعر الآن مع انخفاض معنوياتها أنها أصيبت بالغباء. هذا النوع من الغباء الذى

يحدث بتركيز الفرد على حالته النفسية السيئة، وشعوره بأن المقربين إليه لا يهتمون به، زوجها كثيرا ما يتركها وحدها ويخرج مع أصدقاء، وابنها الوحيد كبر ولم يعد يحتاج لها.

فكرت «م» كثيرا: هل لم تعد فرحة فى الحياة تنتشلها؟!

حتى عملها الذى كانت تحبه أصبح مضجرا ويزيد الملل، فكرت أن تخرج إلى المعاش المبكر، عشر سنوات قبل وصولها إليه، وعدلت عن فكرتها، إذا كان الملل يعتريها الآن فهل تحتاج إلى المزيد؟! أحيانا عندما يقع نظرها على صورتها مع زوجها وهما فى السنين الأولى للزواج، تنظر إليها وتتساءل: أين أنتما! صورة جميلة فى إحدى رحلاتهما الصيفية فى إطار على أحد رفوف المكتبة.

فى الصباح الباكر التقى الزوجان مع الصديق صاحب الدعوة وزوجته لتمضية يوم فى أحضان الطبيعة فى مزرعة قريبة، فى سيارته حكى الصديق للزوجين عن قريبته، وأنها متزوجة من ضابط كان بحارا، وكانت تعيش فى الإسكندرية فى انتظاره دائما، وقد زهق القبطان من البحار وكثرة السفر، لذلك عندما خرج إلى المعاش فى عمر مبكر، كان يشتاق للأرض والزراعة التى كان يعمل بها والده.

لم يرتض بالأرض الزراعية فى البحيرة، أرض قديمة خصبة حقيقة، لكن أخاه يعتنى بها بعد والده.

أراد أرضا جديدة يزرعها هو ويشاهد الزرع ينبت فوقها، اشترى قطعة أرض من الأراضى الجديدة التى بدأوا يصلحونها ويبيعونها فى

الطريق الصحراوى من القاهرة للإسكندرية . كان من الأوائل الذين بهرتهم الفكرة التى تناسب أحلامه ، وفرحت زوجته بمشروعه ، فهى وإن كانت من عائلة مقتدرة من أرستقراطية الإسكندرية إلا أن فكرة الأرض والزراعة استهوتها لتضمن وجود زوجها بجانبها ، فقد تعبت من القلق الذى كان يعتريها وهو فى مواجهة البحار ، وانتظاره ، ومسئولية رعاية ثلاثة أبناء .

كان الزوج يستمع بإهتمام إلى حديث صديقه وهو يقود سيارته فى الطريق الصحراوى ، بينما كانت زوجته «م» تحاول الخروج من حالتها النفسية المنخفضة بالنظر إلى الأراضى الجديدة على جانبى الطريق وإن كان الملل لم يتركها ، فهذا الطريق يسافران خلاله كل صيف إلى الإسكندرية !

قرأ سائق السيارة علامات الكيلومترات ، وعند علامة معينة دخل فى طريق جانبى ، أراض زراعية كثيرة تتخللها بيوت ، فيللات ، قصور ، المسافرون فى الطريق الصحراوى يشاهدون المزارع الجديدة على الجانبين فقط ، أما التوغل فى داخل الصحراء . فشئ مبهر ، متى ظهرت هذه المزروعات والأشجار المثمرة ؟ ! رائحة الزرع النضر ، ألوان الزهور المتفتحة ، والجو الجميل للصيف فى أوله ، أشياء لفتت نظر«م» وبدأ ضجرها ينسحب .

أمام بيت مثل القصر . توقف الصديق بسيارته وقالت زوجته مداعبة . .« البرنسيسة» تنتظرنا فى الحديقة قال زوجها أنهم فى العائلة يطلقون عليها البرنسيسة لأنها فى شكلها وتصرفاتها مثل

أميرات زمان.. طويلة ممشوق قوامها.. يزيده طولا رداؤها الطويل، تعقص شعرها الذهبى الطويل خلف رأسها، ولا تبدو عليها حقيقة عمرها.. نظرت إليها«م» ولاتدرى لماذا إنتاجها شعور بعدم الراحة على الرغم من أنها بدأت تبتهج! فى داخل البيت تحف من معظم بلاد العالم، أثاث فاخر يدل على الثراء، لكن «م» لم تشعر براحة فى البيت كأنه ذكرها بشئ تكرهه! استقبلهم الزوج بترحاب قبطان لأعزاء وجدهم على سفينته، مرتديا ملابس رياضية عكس زوجته. شمس الحقول مثل شمس البحار، واضحة على بشرته، على الرغم من عمره بنيانه قوى، وصوته خشن، كأنه كان «قرصانا» وليس قبطانا، وزوجته البرنسيسة فخورة به!

خرجوا إلى المزرعة.. اهتم الرجلان بحديث القبطان السابق عن زراعته، واصطحبت البرنسيسة المرأتين ليسرن بين أشجار الفاكهة. جلست«م» فوق مقعد من المقاعد الخشبية تحت مجموعة شجر معبرة عن شعورها بتعب، طلبت البرنسيسة من تليفونها المحمول أن يحضر السفرجى لهن عصائر طازجة وقهوة وفطائر.. وأن يسأل البهوات عن طلباتهم.

ربما فى هذه اللحظة أدركت«م» لماذا شعورها بعدم راحة مع البرنسيسة، فقد أيقظ صوتها الآمر ذكرى من الماضى، نظرت إلى البرنسيسة وتذكرت تلك البرنسيسة الآرملة التى كانت تعشق زوجها، واكتشفت هذا فى رحلة مشابهة عندما كانا مخطوبين، وكادت أن تفقده.

استأذنت البرنسيسة فى اصطحاب المرأة الأخرى لتسيرا قليلا إلى أن يحضر السفرجى طلباتها.. نظرت «م» إليها.. غريبة لابد أنها كانت تشبه تلك الأرملة فى جمالها منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما.

هدوء المكان وهمسات أوراق الشجر لمداعبات الهواء ساعد ذاكرة«م» للرجوع إلى تلك الرحلة البعيدة.. فى بيت الأرملة فى مزرعة قريبة من القاهرة. وكان البيت مثل القصر مليئا بالتحف، تذكرت كيف كانت نظرات الأرملة لخطيبها واهتمامها به عن الآخرين، وفهمت من حديثها أنها كانت وربما مازالت على علاقة به، وكيف جلست تلك البرنسيسة بينها وبين خطيبها حول مائدة طعام الغذاء الفاخرة، وتذكرت نظرات الأصدقاء والصديقات، تلك النظرات المشفقة عليها، هؤلاء الذين كانوا صحبة فى ذلك الزمن.. وتذكرت.

«كان يوما من أيام ذلك الصيف البعيد، وبعد الغداء، كل فرد من المجموعة اختار مكانا ليستريح فيه، وسألتهم الأرملة إذا أراد أحد أن ينام لديها أكثر من حجرة. نوم.. لم ترد البنات الدخول فى حجرات النوم. وكان ثلاثة شبان يريدون الراحة التامة فوق فراش من ضمنهم خطيبها، قادتهم الأرملة كل واحد فى حجرة، تظاهرت «م» أنها نائمة وهى مستلقية فوق مقعد طويل فى شرفة القصر، وكانت تراقب تحركات الأرملة إلى أن اختفت عن نظرها، كانت«م» قد خلعت حذاءها فسارت على أطراف أصابعها حتى لا توقظ النائمين

وقت القيلولة، سارت إلى مكان الحمام الملاصق للحجرة التى بها خطيبها.. سمعت همسات صوت الأرملة، التصقت بالباب.. سمعت صوت خطيبها وهو يقول للأرملة : هذا شئ مضى، لم تستطع الاستماع إلى أكثر من ذلك، شعرت برعشة فى قدميها العاريتين على البلاط، ووخز الدبابيس فى بدنها، فكرت لحظة أن تفتح عليهما باب الحجرة، ربما خافت من منظر تراه،أو خافت من مواجهة «امرأة محنكة» خبرت الحياة والرجال؟! وعادت إلى مكانها مهزومة، حبيبها.. نعم، لكن لابد أن تتركه، اقترب منها أحد الأصدقاء وسألها : لماذا وافقت على صحبة خطيبها إلى هذا المكان؟! قالت إنها لم تكن تعلم. أخبرها الصديق أن خطيبها لا يحب الأرملة، كان صاحبا لها فقط، وهى تكبره فى العمر وتعشقه.. عشقها للاقتناء،فهل شاهدت التحف فى بيتها؟! ونصحها ألا تؤنب خطيبها على وجود الأرملة فى حجرته فهى تطارده وما كاد الصديق ينهى كلماته حتى وجدت خطيبها أمامها».

أفاقت«م» من تلك الذكرى على صوت زوجها وهو يسألها فى أى شئ كانت سارحة؟! جلس بجانبها وهو يقول إن صديقه مع القبطان فى مزرعة العنب،وهو لا يهتم بأمور الزراعة هذه فتركهما.

نظرت«م» إلى زوجها ولأول مرة منذ شهور طويلة شعرت بخفقة حب تدق قلبها كأنها توقظها.. أليس هذا حبيبك الذى فضلك على ثراء امرأة؟! قالت له إن البرنسيسة والبيت والمكان ذكروها بالأرملة التى كانت تعشقه! سألها متعجبا : أى أرملة؟! حدجته بنظرة شاكة.. ابتسم كأنه تذكر فجأة، ولم يحاول أن يكون مخادعاً

.. وقال :« غريبة ذاكرتنا ، أحيانا مشاهدة شخص أو مكان فى الحاضر يعيد لنا صورة وحدثا من الماضى» قالت «م» :«يوم رحلتنا فى مزرعتها كدت أن أفقدك» .. ابتسم الزوج . إنه يتذكر مشاجرتهما وهما عائدان فى سيارته العتيقة ، والذى أعجبه فى غضبها أنها لم تخيره بينها وبين الأرملة ، بل كان غضبها لأنه لم يخبرها عن حقيقة المرأة والمكان قبل أن يذهبا .. والذى ضايقه فى غضبها أنها فكرت أن تتركه .

سألته : لماذا حقيقة لم يخبرها ؟ ! هل كان يختبر عواطفها ؟ ! قال إنه قد أخبرها قبل الخطوبة أن ماضى الإنسان ملك له ، وأنه عندما يلتقى اثنان عليهما أن يبدأ حياتهما معا كأنهما ولدا فى لحظة إلتقائهما !

سألته«م» مداعبة : وهل هى صدقت خرافاته هذه ؟ قال ضاحكاً إنها صدقت خرافاته كما صدق خرافاتها ، لذلك تزوجا وعاشا معا طوال هذه السنين ، تبادلا نظرة لم يتبادلاها من زمن . وهمس لها بأمنية يريد أن يحققها فى الحال تحت ظلال الشجر ! شعرت«م» بسخونة في وجهها . في بدنها .. إنها ليست من حرارة الجو .. فالجو لطيف منعش ، وليست من الفترة الحرجة فى عمرها ، قرص زوجها خدها بأصابعه .. «ياجميلة .. مازلت تخجلين وأنت فى الخمسين ؟ !

عادا فى نهاية يوم الرحلة منتعشين بكل شئ .. حتى بذكرى الأرملة .. وعندما نظرت إلى صورتهما فوق رف المكتبة ابتسمت وهمست «وجدتكما اليوم معا» .

حكاية رقم ٣٤

حب على أنغام التانجو!

قالت(أ) لم يعجبني إصرارك للأم على أن ابنتها لديها عقدة نفسية منذ الطفولة، ولابد أن تكتشفها أو تعرضها على طبيب نفساني، ربما يعود فشل خطوبتها لعدة مرات إلى أنها أكتشفت عيوبا للخطيب لم تتحملها.. فأنا أشك في حكاية عقدة نفسية تحدث للفرد منذ الطفولة وتؤثر على حياته فيما بعد، الإنسان يكبر ويتطور فكره وينشغل والحياة كفيلة بأن تنسيه طفولته وعقده.

قالت(ب): عقدة الطفولة النفسية حقيقة مؤكدة وإذا لم يكتشفها الفرد عندما يكبر سواء بمساعدة طبيب نفساني أو بمساعدة نفسه ستظل هذه العقدة مؤثرة فيه وفي تصرفاته وربما تنغص عليه حياته.

قالت(أ) لا تقولي إنه كان لديك عقدة من الطفولة وتغلبت عليها أو عالجك طبيب، فأنت إنسانة سوية منذ تعارفنا وصداقتنا منذ عشرين عاما.

قالت(ب) نعم كانت لدى عقدة نفسية واستمرت معي إلى الخامسة والعشرين من عمري، ولولا الظروف التي جعلتني أكتشف تلك العقدة لظلت كامنة في نفسي، وكنت الآن عانسا كبيرة!

قالت(أ) : أول مرة أسمع منك هذا الكلام.

قالت(ب) : لم توجد بيننا فرصة فى الحديث مثل الآن لأحكيها.. وكنت فعلا نسيتها لأنها لم تعد تؤثر فى حياتى لأعود معك أربعين عاما.. إلى أوائل الستينات عندما كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى.

●●

عندما بدأ تفتحى للحياة فى المدرسة الثانوية ثم فى الجامعة وقد اكتملت أنوثتى، كنت لا أحب منظر المحبين فى الطريق فى حديقة، فى أى مكان خصوصا فى دور السينما، عندما كنت أشاهد شابا وفتاة بجيران متشابكى الأيدى أبعد نظرى عنهما، وفى دار السينما عندما تطفأ الأنوار وأجد رأسا تنحنى لتستند على كتف جارها أشعر بضيق وأكاد أصرخ فيهما.

كنت أستمع إلى مغامرات صديقاتى العاطفية وقصص حبهن ولا أشترك فيها، واعتقدن أننى كنت أخفى عنهن قصة حب فسخرت منهن.. ومع ذلك كنت اقرأ رويات حب وأشاهد أفلاما رومانسية.. وأستمع إلى أغان عاطفية، فكلها أشياء بعيدة عن الواقع أو غير ملموسة بالنسبة لى.. ولم أتمن أن تكون لى قصة حب مثل صديقاتى!

تخرجنا من الجامعة وعملنا وأصبحت فى الثالثة والعشرين بلا تجربة حب أو لمسة رجل.. واعتقدت صديقاتى أننى فتاة شاذة واقترحن أن أعرض نفسى على طبيب أمراض نساء، فربما يكون

عندى نقص فى هرمـونات الأنوثة.. أو شئ مـا فى بدنى يجـعلنى لا أفكر فى الرجـل، لكنى كنت متـأكدة من أنوثتى وسـلامة بدنى، ولـم أفكر أو تفكـر إحدى صـديقاتى فى ذلك الوقت بالمسـألة النـفسـيـة أو العقـدة النفسية.. كـان بعض زملائى فى الكلية يغازلوننى، وعندما لا يجـدون اسـتجـابة يبـتـعدون وفـى عـملى تقـرب إلى أكـثـر من زمـيل وعندمـا كـان يصـر على لقـائى خـارج العـمل، كنت أذهب إليـه فى الموعـد مع مجـموعة من صـديقـاتى فلا يعود يطلب موعد آخر، ولم أشعر بحزن أو غيرة عندما كان يتواعد مع أخرى ويعرفنى بذلك!!

فى ذلك الوقت كـان أحـد زمـلائى فى العـمل يـراقـبنى عن بعـد ويسـمع أوصـافـا سـاخـرة أطلقـهـا على زمـلائى.. وإننى بالرغم من مظهرى إلا أننى مثلهم«ذكر» .. وتقرب منى ولم يبتعد عنى عندما طلب مقـابلتى، وذهبت إليـه بمجـموعة صـديقـاتى، بالعكس رحب بهن، وكانت مقابلاتنا عبارة عن مناقشات سياسية وإجتماعية، كان وقتـها الـشبـاب يحبـون الأنشـغال بالسـيـاسة العـربية والقـومية والنظم الاشتراكية والآمال الكبيرة مع عصر الثورة المصرية.

فى ذلك الوقت تعجبت من عدم هروبه منى، وتعجبت من إعجابى به واستنكرت تخمين زملائى أننى فضلته عنهم لأنه يملك سيارة!!

كـان الذى يملك سـيـارة فى ذلك الزمن من الشبـاب قليـلا جـدا، وكـان لابد أن يكون من عائلة مقـتدرة.. بدأت صـديقاتى ينسحبن من مقـابلاتنا ربما ليـتركانا وحـدنا.. ربما - كـمـا قلن - تنفك عـقـدتى؛ خصوصا عندما وثقن كما وثقت من أخلاقه.. كانت معظم السيارات

فى ذلك الوقت ذات مقعد واحد امامى.. لم أعد أجلس ملتصقة بالنافذة.. لم أعد أرفض طلبه أن أجلس قريبة منه وهو يقود السيارة، لم أعد أسحب يدى من يده.. وجاء الحب إلينا هادئا رقيقاً. ومع ذلك لم أعترف بهذه العاطفة وهو لم يضايقنى باقتراب أكثر من اللازم، ولم يهمس لى بكلمة تضايقنى، ولم يعترف بحبه..كان ذكيا فى معاملتى بحساسية شديدة، وكنت أعتبره صديقا جميلا وربما لعدم أعترافى لنفسى بعاطفة الحب نحوه جعل شعورى القديم لم يتغير. فعندما كنا نجلس فى مكان: مقهى أو مطعم، وأجد حولنا محبين يتهامسون كنت أشعر بضيق وأنفر من منظرهم! وإذا جلسنا فى دار سينما نشاهد فيلما وبدون أن أدرى أضع رأسى على كتفه أو تتشابك يدانا.. عندما أشاهد رؤوسا حولنا مستندة على أكتاف أرفع رأسى سريعا من فوق كتفه وأسحب يدى من يده.. وكأن عقربا لدغنى.. كان يتعجب من تصرفاتى المفاجئة النافرة لكنه لم يسأل لماذا؟ وكنت أيضاً اتعجب ولا أعرف لها سببا واضحا.

فى ذلك الوقت كانت توجد أماكن قليلة عبارة عن مقاه أو مطاعم بها فرقة موسيقية تعزف الألحان الراقصة وأغانى ذلك الوقت الحالمة والرومانسية للرقصات الهادئة.. كانت أماكن لسهر الشباب البرئ وأسعارها فى متناول الشباب العامل،وذهبت معه عدة مرات بصحبتنا صديق له وصديقته إلى تلك الأماكن.. كان رقص الشباب فى ذلك الوقت على أنغام «التانجو» للتعبير عن الحب والإبتهاج بفرحة الحياة، وكان المجتمع يرحب بالمحبين، كنا فى عالم متغير شعاره الحب والعمل لنصلح من حياتنا المعيشية،

لنختار من نتزوج بالحب والمعرفة.. و«أرفع رأسك ياأخى فقد ذهبت عهود الظلم والاستعمار» ! !

وبالرغم من إيماني بتلك الشعارات إلا أنني لم أعترف أنه حبيبى الذى اخترته.. وبالرغم من ابتهاجي بذلك العالم الساهر وبصحبة صديقه وصديقته إلا أني كنت أتضايق عندما أجدهما ملتصقين ببعضهما وهما يرقصان.. أو يتهامسان.

ذات مساء ذهبنا نحن الأربعة إلى مكان ساهر فوق هضبة الأهرامات.. مطعم مثل خيمة كبيرة وبه فرقة موسيقى لتعزف للراقصين .. كانت هناك عدة أماكن للسهر والتسلية.. تذهب إليها السيارات مخترقة طريقا طويلا وسط الصحراء.. تلك الأماكن كما تعرفين أزيلت من زمن حتى لا تشوش على منظر الأهرامات!.. ونحن عائدون من سهرتنا كنت أجلس بجانب صديقى فى سيارته، وصديقه وصديقته فى المقعد الخلفى ..كان الطريق مظلما ساكنا إلا من صوت السيارة.. وتنبهت إلى صوت صديقه وهو يهمس لصديقته وصوتها وهى تهمس له.. وصوت قبلات تطرقع وصوت أنفاس متهدجة أقشعر بدنى.. متى سمعت مثل تلك الهمسات .. والقبلات؟!

فى ذلك الوقت فقط.. فى تلك الليلة فقط وأنا على أبواب الخامسة والعشرين من عمرى تذكرت وارتعد بدنى، تذكرت عندما كنت فى السابعة من عمرى طفلة يبهرها كل جديد فى الحياة وما تقدمه لها. كان ذهابنا أحيانا فى يوم إجازة إلى بيت عمى الكبير يوم فرح للصغار والكبار، كان عمى بصفته كبير العائلة يدعو الأقارب للتقارب العائلى فى بيته الكبير فى حدائق القبة.. كانت هذه

المنطقة قديما معظمها فيلات كبيرة تحوطها حدائق واسعة، كانت صغرى بنات عمي في الخامسة عشرة من عمرها وجميلة.. وكانت تعامل قريبا لنا في مثل عمرها معاملة خاصة، وكنت أحب أن أشاهد تلك المعاملة.. كنت أترك الصغار الذين في مثل عمري لأجلس مع ابنة عمي وقريبنا، وكانا يرحبان بوجودي معهما عندما يسيران في الحديقة الكبيرة، أو وهما يجلسان يتهامسان كما لو كنت حارسا خاصا يبعد عنهما الشبهات!! وقد اعتبرت نفسي أكبر من الصغار لأني أشاهد أشياء لا يشاهدونها.. كنا نقضي طول يوم الإجازة إلى وقت الغروب في الشتاء ووقت الدراسة. وإلى المساء وقت الأجازة الصيفية، ذات مساء صيفي سحبتني أبنة عمي وأعطتني قطعة شيكولاته كبيرة، وسرت معها وهي تضع أصبعها على شفتي حتى لا أتحدث إلى أن وصلنا إلى كشك صغير في آخر الحديقة الكبيرة به أدوات العناية بالزرع، سألتني بصوت غريب هامس أن أجلس أمام الكشك وإذا سمعت صوت أقدام أنبهها..

ووجدت قريبنا في انتظارها ودخلا معا إلى الكشك.. جلست على بابه أنظر في الظلام بخوف وآكل الشيكولاته وسمعت همسات وطرقعة قبلات.. وأنفاسا متهدجة! وفجأة سمعت وقع أقدام تقترب وقبل أن أنبهها غمر وجهي ضوء قوي من بطارية وجذبتني يد خشنة.. وصرخت وأنا أرى وجه عمي غاضبا« عمي.. عمي مش أنا.. مش أنا»

إنتهبت إلى يد صديقي وهو يهزني وقد أوقف السيارة وأخذني بين ذراعيه وأنا أرتعد.. وسألني ماذا جعلني أظن أن عمي في السيارة

التى مرت بجانبنا فى الاتجاه العكسى وفى هذا الظلام؟! وقال وهو يهدئنى لابد أننى غفوت لحظة وكنت أحلم!! وقال صديقه فى المقعد الخلفى إن قائد السيارة المغفل سلط علينا الضوء القوى.. ألا يعرف طريقه؟! أحاطتنى عيونهم بدهشة وحنان وهم يحاولون تهدئة دموعى!! بعد أن نزل صديقه وصديقته من السيارة قلت له إننى لاأريد أن أخرج معهما ولم يعترض قلت له ألا نتقابل فى المساء.. لم يعترض..سألنى: هل حقيقة شاهدت عمك؟ قلت: إن عمى مات من زمن وزادت دهشته».

●●

قالت (أ): يعنى إكتشفت هروبك من الحب والشبان سنين طويلة، يعنى حكاية حدثت لغيرك لماذا عقدتك؟!

قالت (ب): لأنها ظلت كامنة فى نفس وظل اعتقادى أن مصاحبة الشبان مصيبة، وكل ما يحدث فى علاقة الحب كارثة تستحق علقة أخذناها من عمى أنا وأبنته وقريبنا.. فى ظلام الحديقة وهددنا أننا إذا ذكرنا تلك الحادثة لأحد سيقتلنا! وبعدها بسنة قتل ابنته فعلا بتزويجها من شاب يكبرها بعشر سنوات ولا تحبه.. والذى حدث لى بعدها أننى كنت أمرض حقيقة كلما علمت أننا سنذهب إلى بيت عمى، وكانت جدتى لأمى تتبرع بالمكوث معى فى بيتنا.. مرات قليلة كنت أذهب معهم وأظل طوال الوقت ملتصقة بأمى ولم أتخلص من ذلك الاجتماع العائلى تماما إلا بعد التحاقى بالجامعة والعمل.

قالت (أ) :لكن عقدتك من الحب كما ذكرت حلت قبل اكتشافك سببها منذ الطفولة ! !

قالت (ب) : عقدتى من الشبان هى التى حلت بفضل الشاب الذى أصر على مصاحبتى وعاملنى بحساسية ، لكن عقدتى من الحب نفسه كانت كامنة لم أتخلص منها إلا بعد أن عرفت سببها ، لذلك كنت أتضايق من منظر المحبين كما كنت أصر لصديقاتى أنه صديق وليس حبيباً .

سألت(أ) : وبعد تلك الليلة ؟ !

قالت(ب) : قرر الصديق أن يعترف لى بحبه وأننى إذا كنت أحبه أيضا لتعلن حبنا للجميع . . ولأول مرة فى حياتى أعترف بمشاعرى . . . وأننى أحبه . . طلبنى من أبى . . وتزوجنا .

سألت(أ) : زوجك هو ذلك الشاب النبيل ! !

قالت (ب) : هل فهمت لماذا أصررت على أن تحاول الأم معرفة ماذا حدث فى طفولة ابنتها ولم تعرفه أو تفهمه !

قالت(أ) : يا عزيزتى العقدة التى حدثت لك قديما من تلك الحادثة لا تعتبر عقدة الآن للشباب وحتى للأطفال ، فالذى يشاهدونه ويسمعونه على الشاشات الكبيرة والصغيرة أكثر بكثير من تلك الحادثة التى عقدتك سنين طويلة من الحب والأحباب . . ولم يعاقب عليه أحد ! !

قالت :(ب) : فى كل طفولة زمن عقد نفسية مختلفة .

حكاية رقم ٣٥

حفل تكريم فى ملهى ليلى

بناء على طلب الأستاذة قرر مرء وسوها فى قسم الشئون القانونية.. وزملاؤها وزميلاتها فى المؤسسة الكبيرة إقامة حفل تكريمها بمناسبة خروجها إلى المعاش فى.. ملهى ليلى.. طلبت عدم إهدائها هدية وصممت على دفع جزء من تكاليف الحفل.. صحب الزملاء زوجاتهم وصحبت الزميلات أزواجهن، فحفل مثل هذا لم يشاهدوه من قبل، ولن يشاهدوه من بعد.. وفرصة لتمضية ليلة غريبة، وليس خسارة دعوة الأزواج والزوجات لهذه الفسحة الفريدة.. قام أحد الزملاء وقال خطبة عصماء فى الأستاذة، تحملتها هى فى صبر، وعندما قام أحد مرءوسيها، وقفت معترضة.

«يا جماعة إننا لسنا فى حفل تأبين ليقف كل واحد ويقول كلمتين حلوين عن المرحومة.. التى هى..أنا ..

طلبت منكم الحفل فى هذا المكان لنفرح، ونرقص ونضحك، فأنا خارجة إلى المعاش ولست خارجة إلى..» صفقوا لتصمت عن تكملة الجملة. ضحكت الأستاذة وقالت :« ياجماعة أنا سعيدة إننى أترك الوظيفة الروتينية وسأعمل العمل الذى تمنيته طول العمر .. فأصمتوا عن هذا اللغو الخطابى فى محاسنى التى أعرفها والتى لا أعرفها وهيا نرقص، ولتعزف الموسيقى كل الألحان الصاخبة».

صفقوا ابتهاجا واستغرابا، وعزفت الموسيقى. أولا قام الشبان وزوجاتهم، ثم حمست الأستاذة الباقين على القيام والرقص. ليس مهما أن نعرف خطوات الرقصة المهم أن نرقص ونبتهج..و.. هيه قفزت الأستاذة برشاقة إلى مكان الرقص وسط الراقصين، وقفز خلفها أحد الشبان ليرافقها في الرقص.. مالت إحدى زوجات الزملاء على زميله من زميلات الأستاذة وسألتها بدهشة.. «هل الأستاذة شربت شيئا مسكرا»؟! فقد كانت تجدها سيدة رصينة مجاملة فى المرات التى التقت بها فى مناسبات من قبل!! ابتسمت زميلة الأستاذة التى تعرفها وتصادقها من زمن.. وقالت: «إن الأستاذة ترقص رقصة الحرية».

●●

لنعرف ما الذى غير الأستاذة نبدأ القصة من أولها لنفهم السبب، بدون سرد ممل عن أصل وفصل الأستاذة وزوجها نقول إنهما تعارفا فى أروقة كلية الحقوق، وكانا من أكثر الطلبة والطالبات النبهاء المبشرين بمستقبل باهر فى عالم المحاماة، فقد قررا مع آخرين العمل فى هذا العالم المثير، وتحابا بعد زمالة وصداقة ثلاث سنوات، وقررا الزواج بمجرد التخرج، ولأن الأستاذة وحيدة والديها قررا تأثيث شقة الزوجية وإقامة الفرح فليس خسارة مساعدة شاب مبشرة بمستقبل باهر وهو فى أول الطرق، والأهم أنه يحب ابنتهما، وكانت الأم قلقة ألا تتزوج ابنتها بسبب أحلامها فى الخوض فى هذا

العمل الذى يمكنه أن ينسيها أنوثتها، ولسبب آخر لم تفصح عنه وهو أن ابنتها ليست جميلة تماماً حتى يتهافت عليها الشبان! فى ذلك الوقت من ستينيات القرن العشرين لم تكن الفتيات يقبلن على العمل فى مهنة المحاماة، وكانت مكاتب المحامين الكبار لا تقبلهن للتدريب والعمل لأن أصحاب القضايا يفضلون مرافعة الرجال. لذلك كانت دهشة المحامى الكبير الذى قبل تدريب هذين الزوجين النابهين فى مكتبه أن تتفوق الزوجة على زوجها فى المحكمة، وأن يطلبها صاحب القضية لتترافع عنه.

اشتعلت نار الغيرة فى نفس الزوج من ناحية واقعية وهى العملية، ومن ناحية خيالية وهى إعجاب المحامى الكبير بالشابة الصغيرة ومغازلته لها!!. وكاد زواج الأستاذة الذى كان حلماً جميلاً حققته أن يتحطم بسبب مشاجرات الزوج معها وغيرته. كانت في بداية حملها الأول، ومثل معظم نساء ذلك العصر انزعجت من فكرة الطلاق خصوصاً إذا كان زواجهن عن حب وباختيارهن كن يحافظن على استمرار زواجهن مضحيات بطموحاتهن العملية ليسعدن أزواجهن.. و«ماذا تريد ياحبيبى سأفعله لتسعد فى حياتك معى».. وكان آخر شىء تتوقعه أن يطلب منها زوجها ألا تعمل فى المحاماة. وتترك هذا الميدان له. ولتعمل إذا أرادت أى عمل آخر بعيداً عنه.. كانت الصدمة قوية، لقد كان أملهما وحلمهما واحداً فماذا حدث؟! وردت على سؤالها الأم العاقلة.. الزوج غير الحبيب..

ولتبقى على حب زوجها لها فلا داعى للمنافسة فى العمل!!
ونصحها الأب أن تعمل فى شركة من الشركات الجديدة فى القسم القضائي، من ناحية لتشبع رغبتها فى هذا العمل ومن ناحية أنها ستصبح أما وربما لأكثر من طفل، ولا يصح أن تنشغل فى عمل مضن يتطلب المجهود الذهنى والبدنى طول الوقت، قال لها والدها فى ذلك الزمن ألا تندم.. وإذا بقيت رغبتها قوية فى داخلها ستحققها فى يوم ما.. وهكذا التحقت الأستاذة بالمؤسسة الكبيرة التى كانت شركة صغيرة منذ أربعين عاماً، وكبرت معها حتى أصبحت مديرة، ومازالت رغبتها فى داخلها قوية.. أن تعمل فى المحاماة، وها هى ستحققها أخيراً.

●●

اقتنعت الأستاذة بالعمل الوظيفى الروتينى وبسبب وعدها لزوجها كانت لا تذهب إلى المحاكم فى قضايا الشركة. كان زملاؤها يقومون بهذا العمل ثم مرءوسوها. لكنها كانت صاحبة الخطة فى المرافعة.. لم تنقطع عن القراءات القانونية وكل ما يجد فى العالم القانونى، كانت مرجعاً لزملائها ومشجعة لكل من يريد ترك العمل الوظيفى والعمل الحر فى المحاماة.

وأنجبت ثلاثة أبناء على مدى سنين متقاربة، ورتبت حياتها بنظام لتتوافق مع وظيفتها وأسرتها. وكان المشاهد لحياة الأستاذة يقول إنها ناجحة تماماً، سواء فى عملها أو زواجها حتى المقربون منها كثيراً يعرفون القليل عنها.

حقيقة كانت تحرص دائماً على صورة الأسرة المترابطة وعمل ما تستطيع وفوق طاقتها لذلك الغرض، لكنها كانت كثيراً ما يصيبها الأرق، وبعض الأمراض العضوية التى سببها نفسى، وتستعين أحياناً بأقراص مهدئة، وزبونة لنصائح خبراء التغذية، ومعامل التحاليل الطبية، وثلاثة أطباء.. كان الزوج يحب المكوث فى البيت يوم أجازته وهى كانت تشتاق للخروج، وتسمع عن أماكن جديدة يذهب إليها الناس، لكن زوجها لا يحب هذه الملاهى أو الأماكن الساهرة.. تريد أن تذهب إلى مسرح أو سينما.. لماذا وكل هذه الأشياء تأتيهم وهم جالسون فى البيت من الفيديو أو التليفزيون.. وما أحلى السهر فى بيوت الأصدقاء وزوجاتهم ودعواتهم لبيتهما.. كان يحب أن يمضى الإجازة الصيفية فى شقة عتيقة من أحياء الإسكندرية القديمة.. وكانت تشتاق إلى شقة مضيئة على الشواطئ الجديدة.. وتراكمت الرغبات والأمنيات غير المحققة مع الحلم القديم فى داخل نفسها، ربما كانت قوة احتمالها تتجدد.. بمناقشاتها مع زوجها فى عشقها للقانون، فقد كان يستشيرها فى قضايا، ويأخذ بآرائها، بالرغم من أنه لم يصبح محامياً مشهوراً كما تمنت فى شبابها، إلا أن الناس لا تمل ولا تكل عن رفع قضايا وطلب محامين، فكان مكتبه دائماً فى عمل، وكانت تذهب إليه أحياناً فى المساء لتراجع معه شيئاً فى قضية إذا احتاجها وتلاحظ أنه يصيبها الأرق بعدها.. وإذا كانت صاحبة القضية امرأة جميلة صغيرة يزداد أرقها.. ولم تفهم كثيراً فى المسائل النفسية.. لماذا

يصيبها الإحباط والأرق إذا ساعدته فى المكتب ولا تشعر بهذا إذا ساعدته فى البيت ؟ !

لم يحب أحد من ابنائهم الثلاثة أن يعمل فى المحاماة حتى الابن الأكبر الذى درس القانون قام بدراسات أخرى أهلته لاجتياز اختبارات وزارة الخارجية وعمل بها . والثانى أصبح طبيباً ، والثالث مهندساً ، ولأن الأستاذة فى داخلها عبء وثقل الرغبات والأحلام غير المحققة فقد شجعت كلا منهم على تحقيق الرغبة والحلم الذى يريده .

لم تتعجب الأستاذة عندما وجدت فى وصية تركها زوجها لدى محامى صديق له ألا يستخدم أحد مكتبه للمحاماة . وأن تعود الشقة لصاحب العمارة ، خالية ، فقد كان يقصدها هى . . فهل كان يعلم بالحلم الكامن فى داخلها من زمن ؟ !

●●

ارتدت الأستاذة السواد وبكت بحرقة بين المعزين والمعزيات ، كانت نظراتهم تعكس حزنهم عليها . . هى . . فهى ترملت قبل خروجها إلى المعاش بثلاث سنوات ، وابناها الكبيران يعيشان فى بلاد بعيدة مع زوجتيهما . وابنها الأصغر تزوج حديثاً . . يعنى ستجد نفسها تسقط فى بئر من الوحدة والوحشة ! ! «ياعينى عليك ياأستاذة» .

لم يفهم أحد قوة إرادتها ، بعد أن أعطت الحزن الوقت الكافى التفتت لحياتها هى . فى الأعوام الثلاثة قبل خروجها إلى المعاش نظمت كل شىء . . اتصلت بزميل منذ أيام الدراسة وقد أصبح محامياً مرموقاً وسألته العمل فى مكتبه ، ورحب بها ، بدأت فى

الذهاب إلى مكتبه دون الخوض فى العمل مباشرة.. التقت بزملاء وزميلات لم تقابلهم من زمن، وتعرفت على مجموعة جديدة من البشر غير هؤلاء الذين كانت تصادقهم مجاملة لزوجها.. وبدأت تسهر معهم فى أماكن كانت تتوق إلى زيارتها.. وتسافر معهم فى رحلات نهاية الأسبوع إلى بلاد كانت تحلم بمشاهدتها مع أنها فى وطنها!! تركت شقتها لابنها الأصغر وزوجته، واشترت شقة جديدة فى حى جديد من العاصمة، واشتركت مع ابنائها الثلاثة فى شراء فيلا واسعة فى إحدى القرى على السواحل الساحرة فى الوطن.

خلال السنوات الثلاث قبل خروجها إلى المعاش لاحظت أنها أصبحت تنام جيداً فى المساء بهدوء نادراً ما تحتاج إلى أقراص مهدئة.. وأنها أصبحت تأكل كل شىء ولا يزداد وزنها.. والأهم أن الأوجاع الجسمانية قلت والأمراض الغامضة اختفت.. كان الذين لا يعرفون أخلاق الزوج يظنون أنه كان يخونها مع نساء أخريات لذلك ازدهرت بعد رحيله عندما شفيت من قلق ارتباطه بغيرها! والذين لا يعرفون أحلامها يظنون أنها كانت تغار من النساء الجميلات اللاتى كن يذهبن إلى مكتبه.. والحقيقة أنها كانت تغار من عمله وليس من النساء كما ظنوا بل كما كانت تظن هى!! حتى الذين حضروا حفل تكريمها لخروجها إلى المعاش ظنوا أنه مازال أمامها عشر سنوات على هذا الاحتفال!! قليلون هم الذين فهموا أن الأستاذة أخذت بمقولة أن الحياة تبدأ بعد الستين فأعدت كل شىء لتعيش حياتها.

الفهرس
حكايـــات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٣٦٩ / ٢٠٠٣

I.S.B.N 977 - 01 - 8688 - 0